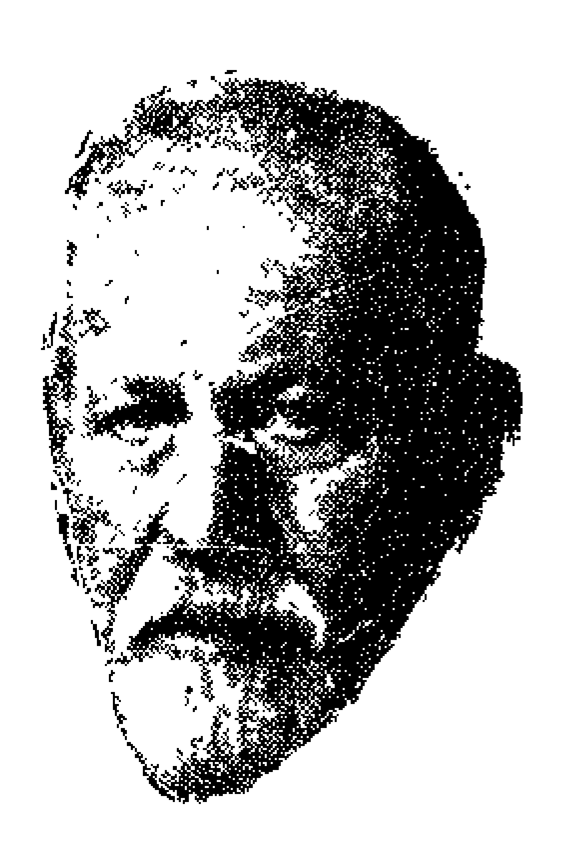

فرويد
حياته وتحليله النفسى
الدكتور
أحمد عكاشة





حيـاته وتحليله النفسي

مراجعة الاستاذ الدكتور

أحمـد عكاشـة

استاذ الطب النفسي بكلية طب عين شمس

دار ومطـابع المسـتقبل

بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة

والنشر ببيروت

نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره

اذا كان حقا ما يقول به السلوكيون ، من أن حيـــاة الفرد تتأثر تأثرا دائما بنشأته وبسنوات حياته الاولى ؛ فان حيـــاة سيجموند فرويد Sigmund Freud (وينطقونها بالالمانيـــة التى تكلم بها : فرويت) قد تأثرت تأثرا كبيرا بتلك النشأة وتلك الســـنوات الاولى من حياته •

فقد ولد سيجموند فى فرايبرج بمقاطعة مورافيا (الان بريبور بتشيكوسلوفاكيا) فى ٦ مـــايو ١٨٥٦ • وكان والداه يهوديان من من أصل نمساوى • وكان والده جاكوب Jacob تاجرا صغيرا للاصواف ، وجده لوالده من القساوسة اليهود •

وأما والدة سيجموند فكانت صبية صغيرة ، تزوجها والده بعد ما جاوز الاربعين ،وبعد وفاة زوجته الاولى أمـــالى Amalie ولم تكن الام حين ولد سيجموند قد تجاوزت العشرين من عمرها

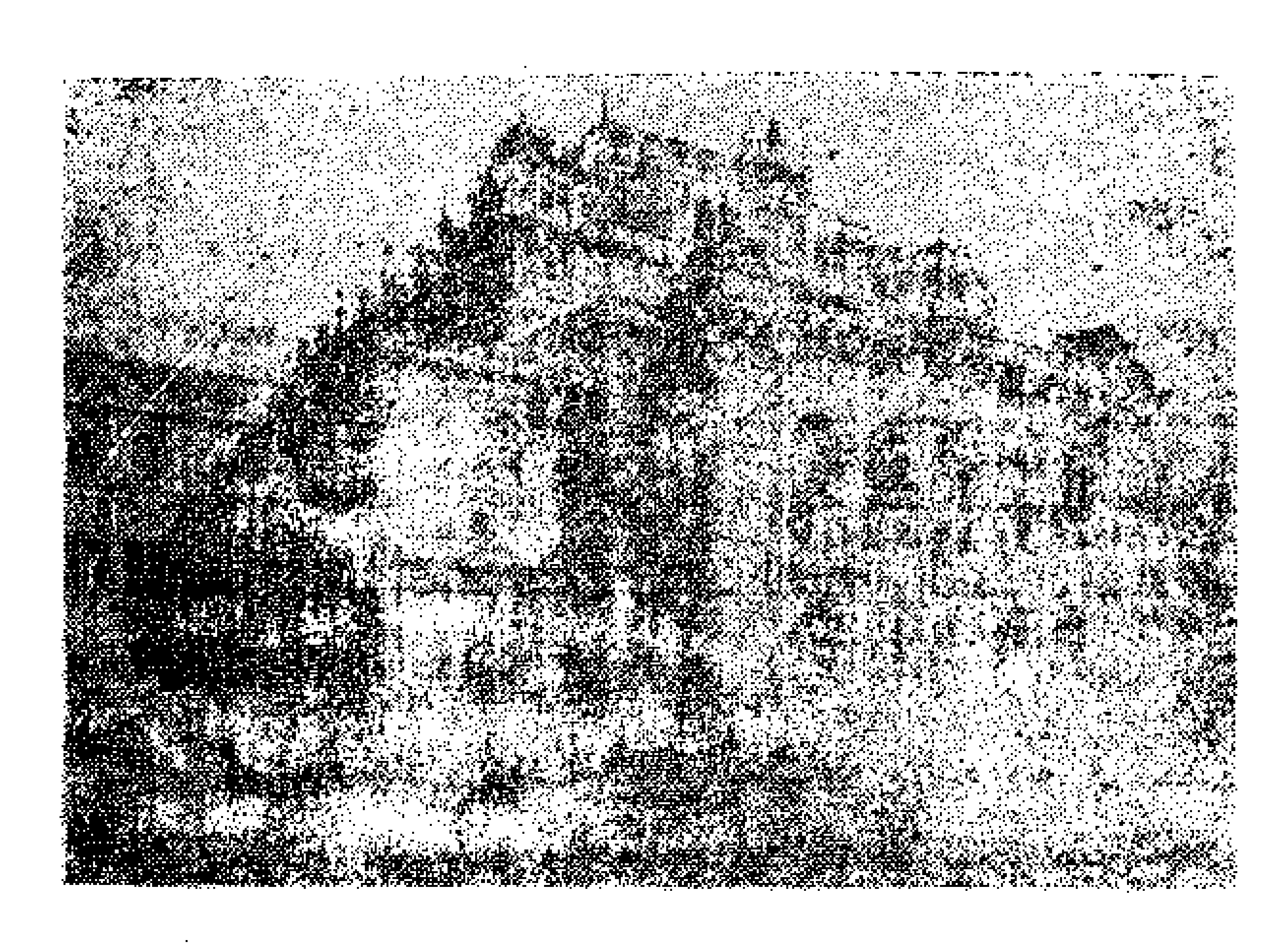
وكان سيجموند هو الابن الوحيد لوالدته ، اذ توفى بعد ولادته

بعام ابنها الثانى ، يوليوس Juluis ، وهو الذى ذكر فرويد أنه كان « يغار منه غيرة شديدة » • ولكن كان للاب أبناء عديدون من زوجتــه الاولى • ومن هؤلاء رجلان بالغان • وقــد تزوج أحدهما وقت زواج والده الثانى ، وأنجب ابنا أسماه جون John كان رفيق سيجموند فى صباه • وقــال عنــه سيجموند أنهما كانا « يحيكان مؤامراتهما الصغيرة معا » •

ولم يحقق والدسيجموند من تجــارته فى الاصواف أى كسب مادى كبــير • ولذا تراوحت أحوال الاســرة الكبيرة بين الفقــر والاعتدال ، ولم تبلغ بها الحال قط حــد الغنى • واضطر الوالد ، جاكوب ، أن يرحل بأسرته مرتين • الاولى الى لايبتزيج (الان المانيا الشــرقية) والثانيــة فى ١٨٦٠ الى فيينــا ، العاصمة القديمــة لامبراطورية أوروبا الشرقية • والتحق سيجموند بمدارس فيينا الثانوية منذ عام ١٨٦٥ •

وقد وصف تلميذ فرويد ومؤرخه ، أرنست جونز Jones علاقات ســيجموند بأفراد عائلتــه الكبيرة بأنها كانت « شــديدة التعقيد » • وقال أن محاولات سيجموند « كشف معانى العلاقات الغامضة بينه وبين أفرادها الكثيرين كانت قلقة » •ولكن هذه العلاقات كانت هى بداية فهم فرويد للعلاقات الانسانية عامة •

وقال ريتشارد فولهايم Wolheim أن حب فرويد لوالده ، وتقديره له « قد اختلط عنده بالحسرة عليه ، كما بالخوف منــه » وأن عواطفه « الحسية الحارة نحو والدته ، وامتعاضه من اخوته



فيينــــا في نهاية القرن التاسع عشــــر
وتمثل الصورة دار الاوبرا الشهيرة بها

الكثيرين الذين يفوقونه سنا ومرتبة . قد تركت آثارها فيه . وأن صور الكبار منهم قد حلت عنده محل صـــورة الاب . بينما كانت غيرته من صغارهم شديدة » .

وقد عاش سيجموند فرويد أكثر حياته فى فيينا ، فلم يبارحها الا لرحلة أو مؤتمر أو أجازة . ولكن ذكرياته فيها لم تكن سعيدة . ويلاحظ القارىء أننا نؤكد على هذه التفاصيل ، لان سيجموند حين أخذ بعد ذلك فى وضـــع نظرياته قد نظر . كما يقول فولهايم . الى نفسه والى أسرته ، قبل أن ينظر الى مرضاه ، ثم الى سائر الناس فهذا طبيب يهودى شاب ، من عائلة متوسطة ، بل نكاد نقول فقيرة فى مجتمـــع شـــديد المحافظة ، هو مجتمـــع احتضـــار العـــاصمة الامبراطورية الكبـــيرة . وهو ينظر بحكم تلك النشـــأة نظـــرته الخاصة ، لا الى العالم وحده ، وانما للعائلة والجنس والمرأة الخ مما سيأتى الكلام عنه .

يقول سيجموند فرويد انه كان يمشى مع والده يوما فى أحـــد شوارع فيينا . فاصطدم والده بأحد أبنائها الارستقراطيين . فما كان من الاخير الا أن ..

« أمسك بقبعة والدى الجديدة ، فألقى بها فى وحل الطريق ، وهو يصرخ فيه : يهودى . يهودى . انزل من فوق الرصيف . لا تمشى فوق الرصيف يايهودى » .

ويضيف سيجموند أن والده لم يرد عليـــه بكلمة . وأنه التقط القبعة الجديدة ، والتى اتسخت بأوحال الطريق ، وانصـــرف من أمامه فى سكون ! .

ويقول سيجموند فرويد أيضا أنه قد أحس ، منذ صباه ..

« باختلافه عن الغالبية العظمى من أبناء فيينـا المسيحيين . وبانفراده . وبوحدته . وبحاجته الى الاعتماد على نفسه »

وليس من شك أن هذه المؤثرات قد أثرت فى سيجموند تأثيرا شديدا فجعلته مثابرا ، عنيدا ، حتى أصبح يرفض معارضـة . بل مناقشة ، أقرب الناس اليه . مما أدى فى أحيان كثيرة الى اختلافه مع عدد من أهم أصدقائه وتلاميذه .

وقد لقى سيجموند فى فيينا عنفا وكرها شديدين . فقد حاربه أطباؤها وعلماؤها فى بداية حيـاته ، ولم يعترفوا بعبقـريته الا مكرهين . ولا يزال الزائر لقاعات جامعـة فيينـا الى اليوم ، يدهش من وفـرة التماثيـل المتناثرة فى أنحائها ، وجلهـا لاسماء غير لامعـة فى حقول العلوم الانسـانية ،وصغر وانزواء تمثـال سيجموند فرويد بينها ! .

هاو للفلسفة ودارس للطب

تمتع فرويد منذ حداثته بخيال واســـع • وكان يتمثل نفســـه غازيا من غزاة العالم كهنيبعل أو نابليون • ثم شغف بالقــراءة • وكان ميالا الى الفلسفة •

وقد انحاز الى جانب المجددين والثائرين من العلمـاء وقتئذ ، من أمثال برنتانو وديه بواه وهيلمو هلتز وفيخنر وكيشنج وهوسكنز وقرْيمان وبافلوف • ويذكر فرويد أنه قد دخل كلية طب جامعـــة فيينا بعد تردد طويل ، وعقب قراءته لمقال عن « الطبيعة » لجيته • ويقال أن فرويد قد أحب جيته منذ حداثته ، ولكنه كان « يتجنب » نيتشه • وأنه لم يقرأ شوبنهور حتى سنوات حياته الاخيرة •

دخل فرويد كلية طب جامعة فيينا فى عـــام ١٨٧٣ ، وتوقف عن الدراسة بها شهورا خلال عام ١٨٨٠ لاداء الخدمة العسكرية • ثم عاد اليها ، وأتم تعليمه الطبى فيها فى العام التالى ١٨٨١ • ولكنه عمل خـــلال أعوام دراسته النهائية مـــع اثنين من كبار الاطبـــاء

التمساويين فى زمانه . وهما مينرت Meynert وبريكه Bruche وقد أثرا فيه تأثيرا بالغا • ووجهه الثانى . خلال عمله معه بين الاعوام ١٨٧٦ و ١٨٨٢ فى معهد الفسيولوجيا الذى كان يديره ، الى دراسة التشريح الباتولوجى • وقد ذكر فرويد « أن بريكه هو الشخص الذى أثر فى حياتى أكثر من أى انسان آخر » • ثم عرف فرويد فى عام ١٨٧٨ أستاذه وزميله بروبير Breur وعمل فى عيادته بعد ذلك سنوات •

وقد حاول فرويد عند تخرجه أن يعمل بالبحوث فى جامعه فيينا • ولكنه لم ينجح فى هذا رغم شدة ميله لذلك • وهذا ، كما قال بنفسه . ليهوديته • فالتحق بعيادة بروبير . وتوثقت علاقته به خلال الاعوام التالية . وحتى عام ١٨٩٥ • حتى انقطعت تماما كما سيجىء ، فى ١٨٩٦ •

وفى خلال هذه الفترة الاولى من حياة فرويد ، قبيل . وأثر تخرجه من كلية طب فيينا . درس فرويد فى المستشفى العام بفيينا وعيادة بروبير أعمالا شتى • منها على سبيل المثال : ميكانيكية التنفس فى الطيور ، ووظائف قنوات الاذن ، وطريقة سباحة الاسماك ، وتشريح أجنة الطيور • على أن أبرز دراسات فرويد فى تلك الفترة كان خلال العامين ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ على مفعول الكوكايين كمخدر موضعى وكعلاج لبعض الامراض النفسية • ويقال أنه كان على وشك تحقيق كشف تأثير الكوكايين كمخدر لولا تحوله عن متابعة بحوثه الى نواح أخرى فى العلاج النفسى •



العالم النمساوى الشهير بريكه الذى
تتلمــذ عليــه فــرويد فى شــبابه

وقد أجمع الدارسون . من بين أصدقاء وأعداء فرويد على السواء . على أنه فى دراساته كان واسع الاطلاع . دقيقا أشد الدقة . وأنه قد نبغ على الخصوص فى فسيولوجيا الخلايا العصبية وكمعالج للامراض العصبية .

يقول فرويد :

« ان مواهبى ، أو قدراتى محدودة للغاية . فليس لدى منها شىء للعلوم الطبيعية ، أو للعلوم الرياضية . وليس لدى منها شىء للقياسات الكمية .ولكن يلوح لى أن ماعندى من موهوب او قدرات صغيرة ، حاد للغاية » .

ويضيف فرويد :

« ان تقديرى لانجازاتى كبير جدا . ولكن تقديرى لنفسى لايماثلها كبرا . لقد كان على الانسانية على طول الزمن أن تتلقى عن يد العلم الحديث ضربتين قويتين ، حطمتا حبهما الساذج لنفسها . الاولى عندما تأكد لها أن الارض ليست هى مركز الكون ، ولكنها جزء صغير من نظام عالمى لانكاد نحيط باتساعه . وتقترن هذه الثورة باسم كوبرنيكوس Copernicus ، مع أن بعض تعاليم الاسكندرية قد سبقت الى شىء منه . والثانية عندما جردت البحوث البيولوجية الانسان من نوعيته المنفردة كمخلوق . مميز عن غيره من المخلوقات ، وطوحت به ، مؤكدة نوعيته الحيوانية ، وسط عموم الحيوانات . وقد تمت هذه الثورة الثانية فى زماننا بايعاز من تشارلز داروين Darwin وولاس Wallace ومن تبعهم ، وأمام معارضة صاخبة من معارضيهم . ولكن مابقى من خيلاء الانسان يتلقى الان ضربته الثالثة والاليمة على يد الانجازات التى تحققها البحوث السيكلوجية الحاضرة فان هذه الانجازات تؤكد ان نفس كل منا لم تعد لها السيادة

التامة . وأن الانسان لم يعد ينفرد بقصره الخاص به.
وأن عليه أن يرضى بأن يزاحمه في كامنته ، وداخل عقله ،
دوافع وعواطف وكظوم كثيرة » .

ويضيف الينبرجر Allenberger ، أن فرويد لم يتأثر بثورتى كوبرنيكوس وداروين وحدهما . وانما تأثر أيضا بالثورة الجنسية التى قامت خلال النصف الاخير من القرن المنضى على يد كراغت ايبنج Ebbing وهافلوك ايليس Ellis ممن سبقو الى التحدث عن أهمية الجنس فى الانسان . من دون البحث فى دوافعه وآثاره . ويؤكد الينبرجر آن فرويد ماكان مستطيعا القيام بما قام به من أعمال من دون الاطلاع الكامل ، والتأثر الايجابى . باعمال هؤلاء الرواد . ولعل من حقنا نحن أيضا أن نتساءل عما اذا كان فرويد مستطيعا أن يحقق انجازاته من دون المؤثرات الاسرية والاجتماعية التى ولد ونشأ فيها ، الى جانب ماوقع فيه بعد ذلك من تأثير الرواد الذين تعرف عليهم .

لقد اعتبر فرويد نفسه « فيلسوفا » أكثر منه طبيبا . ووصف نفسه بأنه كان « هاويا » للفلسفة . وأنه يعتبر علمه الجديد ، أى التحليل النفسى ، فرعا من فروع العلوم الاساسية ، وليس الطبية

وكتب فى ١٨٩٦ :

« عندما كنت صغيرا كنت أتمنى أن أحيط بالمعلومات الفلسفية والان ، وأنا أنتقل من الطب الى السيكلوجيا ، أشعر أننى أتقدم نحو ماكنت أرغب فيه . لقد عملت طبيبا معالجا رغم أنفى » .

وقد شرح فرويد فى عشـــرينات القرن الحاضر العـــلاقة بين العلاج الطبى والعلاج النفسى . فقال :

« بعد أربعين عاما من النشاط الطبى يتضح لى أننى لم أعمـــل فى يوم من الايام كطبيب . وفي تقديرى أن على الاطباء الذين يرغبون فى العمل كمحللين نفســـانيين ، أن يتغلبوا في انفسهم على الجانب الذى اكدته فيهم دراساتهم الطبية ، وأن يقاوموا ميولهم نحو الاعتماد على علوم الغدد والاعصاب وغيرها » .

حالة المريضة « أناأوه ANNA O »

عمل فرويد بعد تخرجه فى عيـادة أستاذه وصديقه برويـــير .
وتعرف فى نفس العـام ، ١٩٨٢ ، على زوجته المقبلة مارتا بــيرنيز Martha Bernayz وكانت صبيــة صغـيرة تعيش فى هامبورج ، كبرى مدن المانيـا الشمالية وقــد قابلها فرويد بعــد ذلك مرات ، وارسلها بانتظام ، ثم تزوجها فى سبتمبر ١٨٨٦، .

وقد نجحهذا الزواج بجميع المقاييس . فكانت تلك الســيدة القصيرة نوعا ، والمتوسطة الجمال ، خير عون لفــرويد فى منزله : ولاولادهما الستة ، ومنظم لاعماله ولعيادته التى شغلت بعد ذلك ثلاث حجرات من منزله الكبير ، والتى كان فرويد يقضى فيها أكثر ساعات اليوم .

وكان فرويد أبا بطريركيا ، ينتظر الطاعة من جميع أفراد عائلته وتلاميذه . وكان يجتمــع بأعضاء أسرته كل ظهر على الغــذاء . ولكنهم لم يكونوا يرونه ، أو يجــروءا على ازعاجه ، فى ســاعات

عمله .وكانت تلك الساعات طويلة ، اذ كان فرويد يعقد ثمانى الى عشر جلسات كل يوم لمرضاه . ثم يجلس للكتابة ساعات أخرى وكان يدخن خلال كتاباته وفى ساعات استرخائه السيجار .

وقد تعود فرويد بعد ذلك على أن يجتمع بعدد من أصدقائه مرة واحدة فى الاسبوع للعب الورق . وكان يلتقى بتلاميذه مرة مساء كل أربعاء . ولكن لما زاد عدد هؤلاء التلاميذ ، لم تعد تكفيهم حجرة عيادته ، فأخذ بعضهم يجلس فيها ، واكتفى الباقون بالاستماع اليه من خارجها .

وكان فرويد يتمشى بين كل حين وآخر فى شوارع فيينا ، وخلال أشهر الصيف ، حول المزارع المحيطة بها . وقد زار خلال رحلاته العلمية ، التى كان يقوم بها منفردا ، أنحاء النمسا وألمانيا ، وبعض أماكن فى فرنسا وايطاليا واليونان .

وعندما تزوج فرويد من مارتا ، انتقلت للسكنى معهما اخت زوجته مينا Minna وكانت أطول قامة، وأجمل شكلا، وأقوى على تحمل أعباء العمل من شقيقتها زوجة فرويد . فساعدت فى رعاية أفراد الاسرة ، وفى تدبير أمور المنزل والعيادة ، طوال خمسين عاما وحرمت نفسها مختارة من اتخاذ حياة زوجية أو مستقلة .

وقد شاء الكاتب اميل لودفيج Ludwig أن يردد سخرية يونج Jung من هذا الوضع ، ومن دون أن يجرؤ ، أحد غيرهما من أصدقاء وأعداء فرويد على السواء ، على أن يقدم شبهة أو يحكى حادثة .

* * *



استاذ وزميل فرويد الطبيب برويير
الذى عمل معه في عيادة ودرس حالة أنا أوه

كان بروير عندما عمل معه فرويد من أكبر أطباء فيينا وأشهرهم عند ارستقراطييها • وكان يعالج بين عامى ١٨٨٠ - ١٨٨٢ مريضة بالهستيريا* تسمى « بيرتا بابانهايم Bertha Pappenheim وتعرف حالتها باسم « آنا أوه (Anna O) • وكانت آنا أوه فتاة جميلة فى الواحدة والعشرين من عمرها • ويقال أنها قد أعجبت اعجاباً خاصا بمعالجها بروير ، وأن هذا قد ساعد على نجاح علاجها • ولكن أيضا على هروبه منها ، ثم قطع صلته بها •

وكانت مظاهر الهستيريا تتمثل فى آنا أوه فى شلل أطرافها ، وعجزها عن تحريك أيديها وساقيها ، واضطراب نظرها ، واختلاف دقات قلبها ، ورفضها شرب الماء ، والعجز عن التحدث بلغتها الالمانية وتحدثها بالانجليزية •

وكان بروير يستقبل آنا أوه فى المساء ، فتقص عليه روايات كثيرة لا رابط بينها • فلما استبدل وقت علاجها بالصباح ، وجد أن كثيرا مما كانت تقوله قد أصبح ذا مغزى • ولما أخذ يقارن بين أقوالها المسائية والصباحية ظهرت له بضعة أشياء • وحينئذ فكر بروير فى تنويمها لمساعدته على كشف التناقض والغموض فى بعض ماذكرته له •

---

* آثرنا استخدام الكلمات المعربة على المترجمة لدقتها ، ولتسهيل الدرس في اللغات الاجنبية ، ولدلالة تأليفها فيها ، وخلوها من الشحنة المسبقة التى قد تحملها الكلمة العربية وتجنب المفاضلة بين كلمات المدارس العربية المختلفة .

وقد وجد بروير (وكان قد بدأ يطلع فرويد على حالتها ويناقشه فيما يجب عمله معها) أن أنا أوه كانت قد مرضت والدها طوال شهور حتى وفاته • وأن كل مظاهرها الهستيرية تعود الى تلك الفترة التى قضتها فى تمريضه • وأن أنا أوه كانت . زيادة على ذلك ، شديدة الكره لمدرسة انجليزية تعلمها تلك اللغة • وأن المدرسة قد قدمت الماء يوما لكلب لها فى كوب خاص بأنا أوه • فلم تعد أنا أوه منذ هذا الوقت قادرة على شرب الماء . واستبدلت بلغتها الالمانية خلال أزماتها لغة تلك المدرسة •

وعندما كشف بروير عما وجد لانا أوه . وآبان عن دوافع وأسباب كبتها ، نسقيت أنا أوه تماما عن كل مظاهر الهستيريا . وغادرت عيادته من دون أن تعود اليها بعد ذلك •

يقول فرويد :

« ان علماء الاعصاب كانوا قد لاحظوا أن الكشف عن الدوافع المكبوته لاسباب القلق النفسى والهستيريا ، يزيل ظواهرها عن المريض • وأن المريض الذى يكشف عما يدور فى رأسه من أحلام بالثرثرة الى المعالج الذى يطمئن اليه ، كثيرا ما تتحسن أحواله » •

ويقول أيضا :

« ان المريض بالهستيريا يعانى من صدمة مؤلمة أثرت فيه تأثيرا دائما • وهو قد ينسى الصدمة • ولكن تنويم المريض يعيد الحادثة والدوافع التى ادت اليها الى خياله • فاذا كشف عنها الطبيب ، شفى من المرض » •

كل هذا كان معروفا عند علاج بروير لانا أوه ، ولكن ما أضافه

بروير يومئذ هو محاولته « تنويم » المريضة لمساعدتها على الكشف عن الكبت والدوافع • وقـــد سمى بروير وفرويد تلك الطريقـــة « العـــلاج الكـــلامى Talking Cure » أو « تنظيف المدخنـــة Chimney Sweeping» • وأطلق عليـــه الفرويديون بعـــد ذلك اسم اسم « التطهير Catharsis »

وفى خـــلال تلك الفترة الاولى من حياته ، كان فرويد يجـــرى بحوثه التى تحدثنا عن بعضها • على أن فرويد حصل فى العـــام التالى ، ١٨٨٦ ، على منحه دراسية اختار لموضوعها درس «التنويم والايحاء النفسى » ولمكانها باريس ، حيث العـــالم الفرنسى الذائع الصيت وقتئذ شاركوه Charcot • ولم يكن أحد فى فيينـــا وقتئذ يؤمن ، أن كان قد سمع ، بما يقول به شاركوه • ولكن تجربة بروير مع أنا أوه ، فتحت عقل ذلك العبقرى النمساوى ، وشجعته على أن يختار بنفسه موضوع ومكان منحته الدراسية •

وقد قضى فرويد فى باريس الفترة بين ١٣ أكتوبر ١٨٨٥ و ٢٨ مايو ١٨٨٦ • فدرس فى خلال تلك الفترة اللغـــة الفرنسية ، وكل ما استطاع من أعمال شاركوه • وقد تابـــع فرويد شـــاركوه فى محاضراته وبين مرضاه فى مستشفى سالبتريير ، وناقشه فى أشياء كثيرة ومن بينها حالة المريضة أنا أوه •

وكانت المدرســـة القديمة فى درس وعلاج الهستيريا ترجـــع أسبابها عند المريض الى « الخيال» أو الى مرض فى «رحم»المرأة • ومن هنا سميت هستيريا • فالاسم يعنى فى اليونانية « الرحم »

ولكن شاركوه لم يكن يؤمن بهذه التعاليم القــديمة • وكان يكرر لتلاميذه : أنظروا دائما ، وفى كل الاحوال : الى الدوافع الجنسية ومع ذلك فعندما سمع شاركوه بعد ذلك أن فرويد يرجع بعد عودته الى فيينا أكثر الامراض النفسية الى الجنس ، لم يوافقه : وعــاد يقول : ولكن هذا غير معقول ! •

من التنويم الى التحليل

عاد فرويد الى فيينا فى ١٨٨٦ ، فعمــل فى مستشفى كاسوبتز وافتتح عيادة خاصة فى جــزء من منزله • وقد اســتمر فرويد فى شغل المنزل والعيادة ، لم يغيرهما ، حتى طورد من المدينة على أيدى النازيين الالمان فى ١٩٣٨ •

وقد ألقى فرويد بعد عودته بأسابيع من باريس محاضرة على أطباء فيينا عن طرق العــلاج التى شاهدهــا فى باريس • ولكن محاضرته لقيت فشلا ذريعا بين زملائه ، الذين سخروا من كلامه • بل أن ...ضرة أوغرت صدورهم نحوه حين كاشفهم ببعض الكشوف التشريحية والنفسية المتقدمة فى باريس عنها فى فيينا •

وقد آذت تلك المحاضرة فرويد أمام زملائه ، وأضرت بعيادته ؛ حيث بقيت بعد ذلك شهورا طويلة فيما يشبه الكساد المادى •

واستمر فرويد فى مستشفى كاسوبتز حتى ١٨٩٣ ، ولكنه تركها فى عام ١٨٨٩ لدرس التنويم على يد بيرنهايم Bernhayem

فى نانسى بفرنسا • وقد حاول فرويد أثناء ذلك ان يعود للتعـــاون مع بروير . ولكن هذا أخذ يبتعد عنه تدريجيا : لاعتقاده أن فرويد قد أخذ يولى الناحية الجنسية لمرضـــاه أكثر من حقها • وأيضــا لوثوقه من أن تلك الشهرة التى طغت على اسم فرويد قد تصيبــه هو أيضا . فتضر بعيادته المزدهرة وقتذاك •

على أن فرويد نجح فى ١٨٩٣ فى نشر مقالة له مع برويــير عن « الميكانزمات السيكلوجية لظاهر الهســتيريا » • وفى أن ينشــرا معا بعد ذلك بعامين . أي فى١٨٩٥ . كتابهما «دراسات فىالهستيريا» وهو الذى تؤلف حــالة أنا أوه واحـــد من أهم فصوله • على أن ثقة بروير فى صديقه كانت قد تدهورت الى حد أن أنفرد كل منهما بكتابة بعض فصول الكتا ب• فلم يضعـــا اسميهما معـــا الا على مقدمته ! • وفى العام التالى لظهور الكتاب ، ١٨٩٦ ، أنهى بروير كل علاقة له بفرويد •

وقـــد تضمن الكتاب المذكور عـــدة حالات هستيرية أخـــرى ، رمز لاهمها بالرمز «ايمى فون ان » و « لوسى أر » و « كاترينـــا » و « كينتشيليا أم » • ولعل أهم تلك الحالات جميعا هى حالة مريضة فرويد « اليزابيث فون أر Elisabeth Von R » •

وقد استمر علاج فـــرويد لاليزابيث فون أر بـــين الاعـــوام ١٨٩٢ ، ١٨٩٨ • وكانت من أصعب الحـــالات التى صادفها • اذ بدأ فرويد بالعلاج التقليدى وقتئذ ، وهو محاولة تنويم المريضـــة ثم الايحاء اليها • ثم بمحاولة بروير الناجحة مع أنا أوه ، تنويم

المريضة وتركها تسترسل فى الكلام • ولكن هاتين الطريقتين لم تفيدا مع اليزابيث فون أر لما وجده فرويد من صعوبة تكاد تبلغ الاستحالة فى تنويمها • وزيادة على ذلك ، كانت اليزابيث فون أر تصر على رواية رواياتها كاملة . ومن دون أن تسمح لفرويد بمقاطعتها •

وحينئذ بدأ فرويد الطور الثالث فى علاج الهستيريا عند الفرويديين ، وهى تركها ، تتكلم . وتتكلم .وتتكلم • فكانت هذه أول دراسة « تحليلية » الهستيريا •

يقول فرويد ان الهستيريا « تظهر وكأنها تلغى أساسيات علم التشريح ، أو كأنها لم تسمع بهما » •

وكانت اليزابيث فون أر تعانى أساسا من آلام فى ساقيها وعجز عن المشى السوى • وقد قصت على فرويد سلسلة من الحوادث الاليمة التى جرت لافراد أسرتها • فقد توفى الاب • ثم تزوجت أختها مخالفة لرأى عائلتها وانفصلت عنهم بزوجها • ثم توفيت أخت أخرى خلال ولادتها • ووجدت العائلة أنها لم تعد تستطيع التفاهم مع زوجها • ثم مرضت الام • وهذه كلها حوادث مؤسفة ، كما قال فرويد ، ولكن أين الدوافع التى أدت الى الكبت ؟ • انه لايجدها ! • واليزابيث فون أر تقول أنها تعرفها . وتكرر عليه ماقالت • حتى بدأت تتحدث عن شاب مال اليه قلبها • ويجتهد فرويد فى التعرف على الشاب ، حتى تعترف أنه زوج أختها المتوفاة • نعم لقد مال قلب اليزابيث الى زوج أختها •

وقد لامت نفسها بشدة على هذا الميل .ثم ماتت الاخت. فصارحتها كامنتها : الان وقـــد ماتت : افرحى ؛ فقد تمهــد لك الطريق ! .

لقد تحدث أرنست جونز عن نظام للدوافع الكامنة انتهى اليه فرويد بعد ذلك . قال ان فـــرويد قد انتهى الى أن الكامنة ليست متجانسة . فقد تجمع بين أفكار مختلفة ، بعضها قد يضاد البعض الاخر . ولكن هذه الافكار المختلفة قد تتعايش مـــع ذلك داخـــل الكامنة الواحدة . لان تزاحم هذه الافكار فيها لايعرقل استمرارها، كما لايعرقل ظهور بعضها من دون البعض الاخـــر . وقـــال أن الكامنة قد تتجـــاهل أيضا عامل الوقت ؛ فتختلط الافكار القـــديمة بالجديدة . وأن هذه قد تطفو كعاطفة طاغية وتحل محل الحقيقة الخارجية .

وقد تحدث فرويد بعد ذلك عن حالة مريضة أخرى بالهستيريا هى حالة المريضة « دورا Dora » . وكانت دورا فى الثامنة عشر من عمرها . وكانت ظواهر الهستيريا تظهر عندها على شكل كحات طويلة ، تفقد خلالها صوتها . كما كانت تشـــعر بأعراض تشـــبه أعراض التهاب الزائدة الدودية . وقد وجد فرويد أن دورا تحب والدها وتكره أمها . ولكنها تحولت عن والدها ، وهددت بالانتحار اذ اكتشفت علاقة بين والدتها وبين صديق الاسرة « كيه K » وأن والدها قد اتجه بتشجيع خفى من والدتها ، نحو زوجة كيـــه . ووجد فرويد أن دورا نفسها كانت تميل الى كيه . ولهذا « تخيلت» دورا أن رغبتها فى كيه قد أشبعت . وأنها قـــد حملت منه . وأن

ماظهر لها من علامات الزائدة الدودية هى عوارض حملها منـــه •
ولكن الحقيقة أن دورا لم تضاجـــع كيه • وأنه الى جانب حبهـــا
لكيه ، كان هناك ، كما وجد فرويد ، حبها القوى لوالدها • ورغبتها
الشاذة ناحية والدتها ومربيتها • وبعد ذلك ميلها التدريجى نحو
معالجهـــا •

* * *

ويلاحظ أن فرويد قد استفاد فيما أسماه بـــ « التحليل النفسى »
بتفسير أحـــلام المريض ، مثلما استفاد بـــ « تداعى الافكار » •
أى بترك المريض يتذاكر الحوادث العاطفية التى مرت به ، وأحدثت
كظومه ، وفجرت أزماته • ولم يعترف فرويد بهفوات أو أخطـــاء
أو نسيان يقع فيه مريضه ، مما أسماه بالالمانية Fehlleistungen
ويطلقون عليه الان اسم « غلطة اللسان Freudisceh Versprech ung
فلكل واحدة من هذه معنى يجب أن يدرس ويمحص • وقد أعطى
فرويد مثالا برئيس البرلمان النمساوى الذى جلس لافتتاح احدى
جلسات البرلمان ، وكان فى عجلة للحاق بموعد ، فأخطأ فى كلماته
وقال : قفلت الجلسة • بدلا من أن يقول : فتحت الجلسة ! •

وضرب فرويد المثل بنفسه حين قال ان الانسان كثيرا مايحاول
أن يتجنب موضوعا ، فينسى موضوعا آخـــر يشابهه • وأن هـــذا
كثيرا مايحدث عنـــد الحديث فى مواضيـــع تمس المرأة أو الجنس
أو الموت الخ •

* * *

كانت مريضة فـرويد تجلس على أريكة طويلة فى عيـادته ، يتدلى من فوقها ضـوء خافت • ويجلس فـرويد من وراء رأس المريضة بحيث لا يزعجها بالتحديق فى وجهها • وكان فرويد يتحدث الى مريضته بصوت خافت وهادىء • وقد يربت على جبهتها بيده •

وكان فرويد يشجع مريضته على التحدث فى كل ماتريد ، ومن دون أية مقاطعة أو أسئلة • وكان غرض فرويد من جلساته المتكررة هو مساعدة المريضة على تحديد الدوافع والكظوم • فاذا ماوقعت عليها ، فقد كشفت لفرويد ، ولنفسها ، عن المرض ، فيكون التحسن السـريع •

وقد ترك فرويد التنويم بعد ذلك الى التحليل ، لاسباب كثيرة منها أن نتائج العلاج بالاول ليست دائمة وكان يحـذر من « الخلط بين ذهب التحليل ونحاس التنويم » •

وكان فرويد يحذر من أى ايحاء سيكلوجى من المعالج للمريض ، كتشجيعه على اتخاذ طريق أو رواية يغرسها فيه معالجه • وكان يرى أن وظيفة المعالج تقتصر على « التفسـير » • ولم يكن يصر على أن يكون المعالج طبيبا ، بل كان يطلب أن يكون معالجـا محايدا •

كذلك حذر فرويد من أى تماد بين المعـالج والمريض • فمـع أنه كان يرى أن نجاح المعـالج يتوقف على ثقـة وتعاطف المريض مع المعالج ، فان لهذين عنده حـدودا صارمة يجب ألا يتجاوزاها شعوريا أو لاشعوريا • وكان يقول أن العلاقة بين المعالج والمريض خطيرة جدا « لانها تقـوم على اعترافات الثانى للاول • وجلهـا اعترافات جنسية » •

دور الجنــس فى الاحــلام

كان لفرويد ولع قديم بتفسير الاحلام • وقد وجد منذ افتتاحه اعيادته ، وبداية تبينه لكظوم مرضــاه فيها ، أنه يحتــاج الى أن يتعرف على احلامهم والى أن يستدل برموزها فى محاولة تفسيرها •

يقول فرويد :

((أن المفروض هو الا تظهر عنــد النوم أية حركات نفسية • ولكن اذا ظهرت لنا بوادر منها ، فان السبب يرجــع الى أن الشخص الحالم قد عاد الى مرحلته الجنينية الاولى • فالنائم لا يستطيع أن يتجنب مايظهرعليه من علامات نفسية تؤلف بعض حلمه • والاحــلام هى الطريق الوحيد أمــامه للتخلص من عواطفه المكبوتة)) •

فالحلم عند فرويد ••

((تحقيق مستور لرغبة غير واضحة ، أو خفيــة ، أو مكبوتة مفهومة او غير مفهومــة • وعلامة يبوح عن طريقها العقــل ببعض أسراره الكامنة •• (ولكنه أيضا) علامة من علامات النيــوروز (العصـــاب) • وكثــيرامايواجهها المعالج كعلامة سيكوباثولوجية ، ولكنه ليس بكذلك)) •

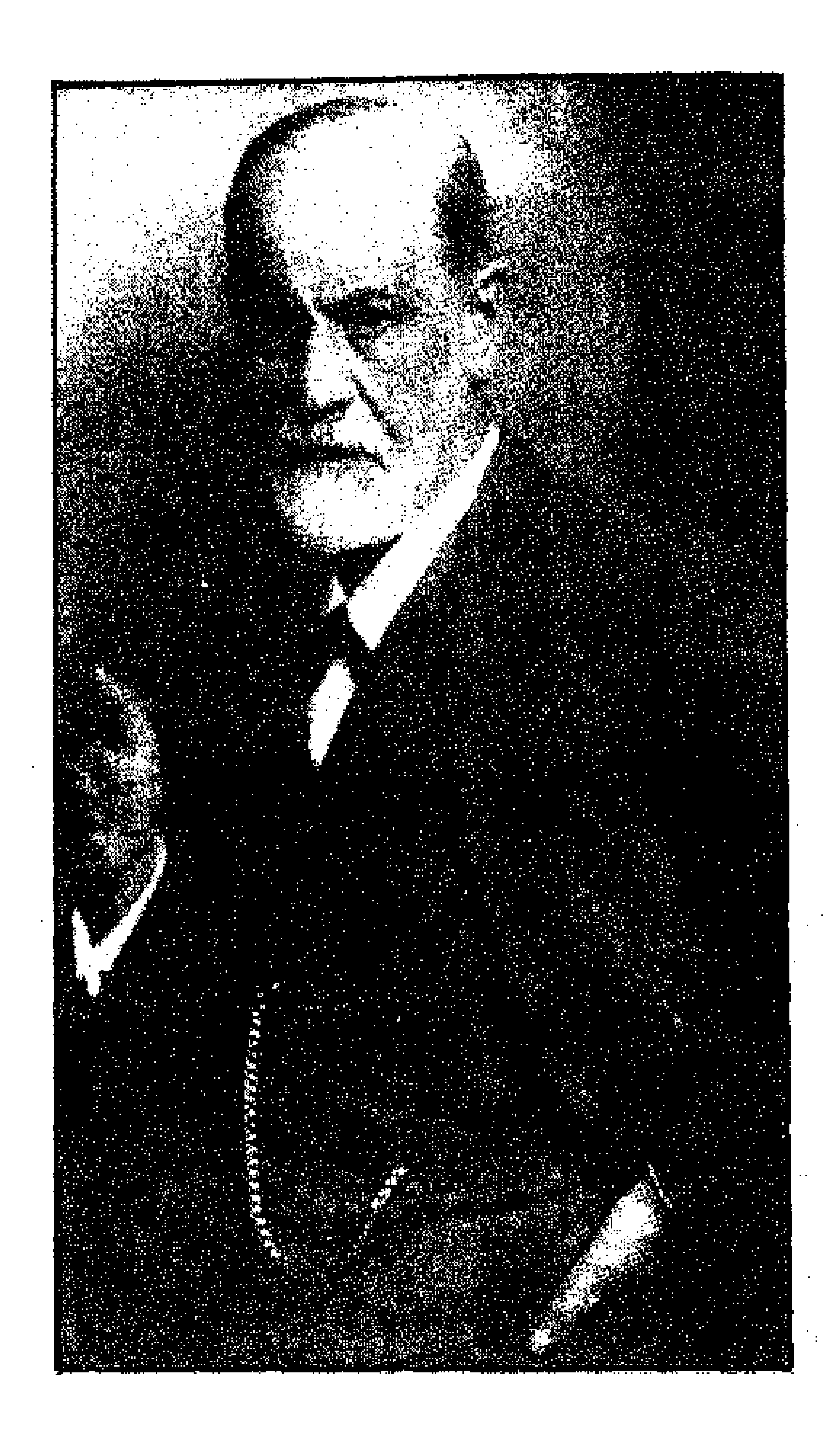
وقد وجد فرويد أن بامكانه أن يفسر أحــلام المريض ، جزءا بعد جزء ، مستعينا برموز تلك الاحلام ، للكشف عمـا فى كامنته . فالحلم عند فرويد ، هو « الطريق الامثل (الملكى) لفهم الكامنة » وقد وجد فرويد أن كامنة كل شخص لاتضم تفاصيل متناثرة وغير وغير هامة من التجارب ؛ وانما « ردود فعل عقليــة » تتراكم فيما أسماه باللاوعى . وردود هذه الافعال تتطور كل يوم بمـا تكسبه من تجارب جديدة . حتى اذا جاء الوقت المناسب ، ظهـر بعضها ليواجه الصدمات النفسية التى يتعرض لها الانسان .

ووجد فرويد ان الغريزة الجنسية هى المحرك الاساسى للسلوك الانسانى . ومع ذلك ، فقد أعطى فرويد تلك الغــريزة كثيرا من الجوانب التى تعارفنا على تسميتها بالجوانب « الاجتماعيــة » . فمفهوم الجنس عند فرويــد لا يضيق حول العمليــة الجنســية وحدها ، وانما يتسع كى يشمل جوانب متعددة من النشــاطات . والطاقة الليبيــدية فيه تتصــرف عند النمو الى اهتمامات كثــيرة « غير جنسية » .

ومن ناحية أخرى ، أعطى فرويد سلوك الاطفال بواعث جنسية سافرة . وقــاده البحث فى الجنس فى الطفولة الى مركب أوديب

ولم يكتف فرويد بارجاع الامراض النفسية الى اضطرابات جنسية، وانما فسر السلوك الجنسى السوى بأنه تعبير عن سلامة هذه الغريزة

كذلك بدأ فرويد ، عقب وفاة والده ، فى تسجيل وتحليل احلامه الخاصة منذ طفولتــه ، أى تحليل نفسه ذاتيــا . فتأكدت له قوة





فرويد واقفا الى جانب والده



فرويد في السادسة عشرة



فرويد مع والدته في السادسة عشرة



فرويد (الثالث من اليسار بالصف الخلفي) مع اسرته وهو في العشرين



فرويد واقفا الى جانب زوجته



فرويد وزوجته مارثا في عام ١٨٨٥



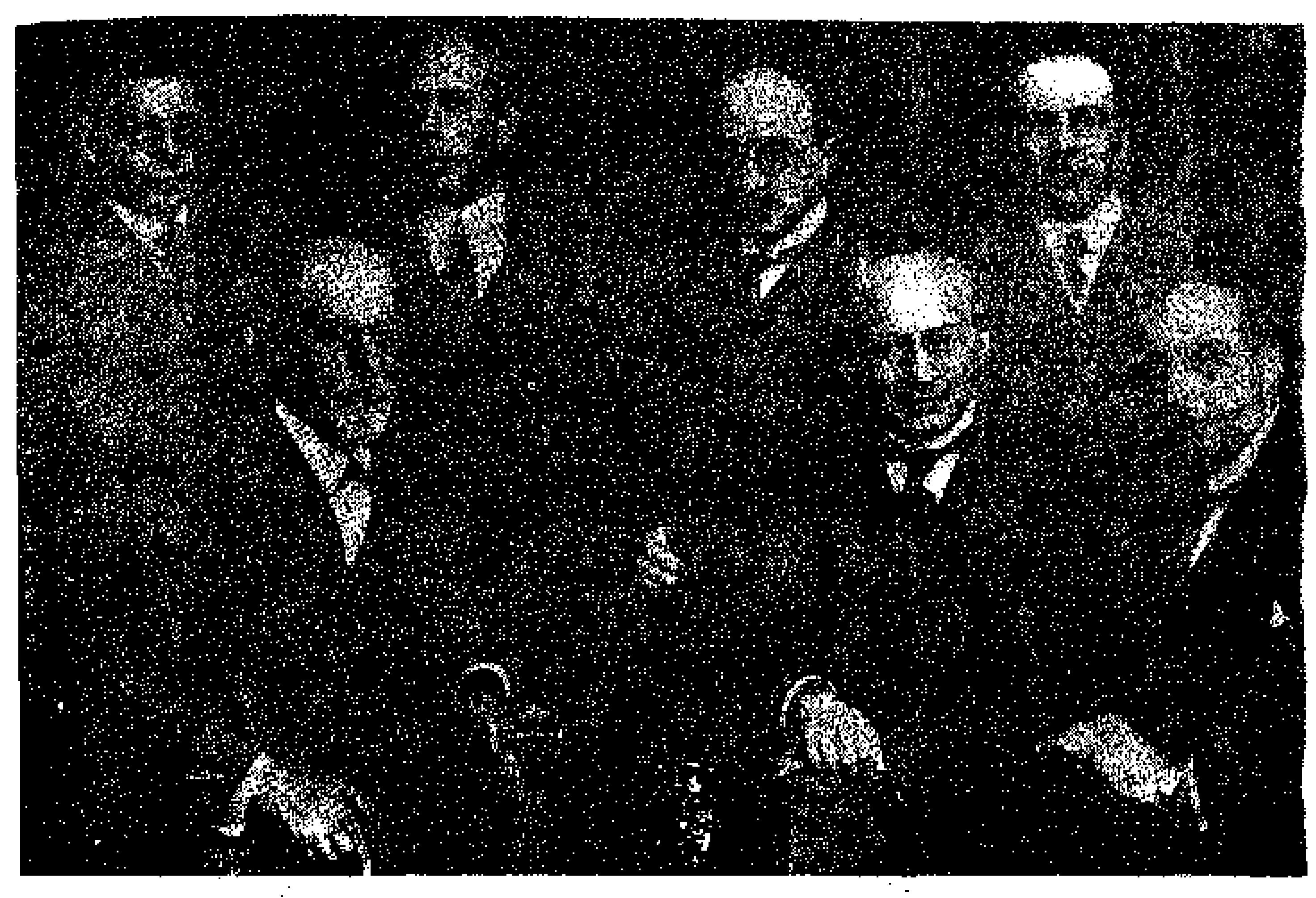




فرويد في نهاية القرن الماضي

المنوم والايحائي الفرنسي شاركوه الذي درس
عليه فرويد في باريس خلال محاضراته





اللجنة الدولية لاتحاد المحللين النفسيين ببرلين عام ١٩٢٢ . ويرى بالصف الأول من اليسار

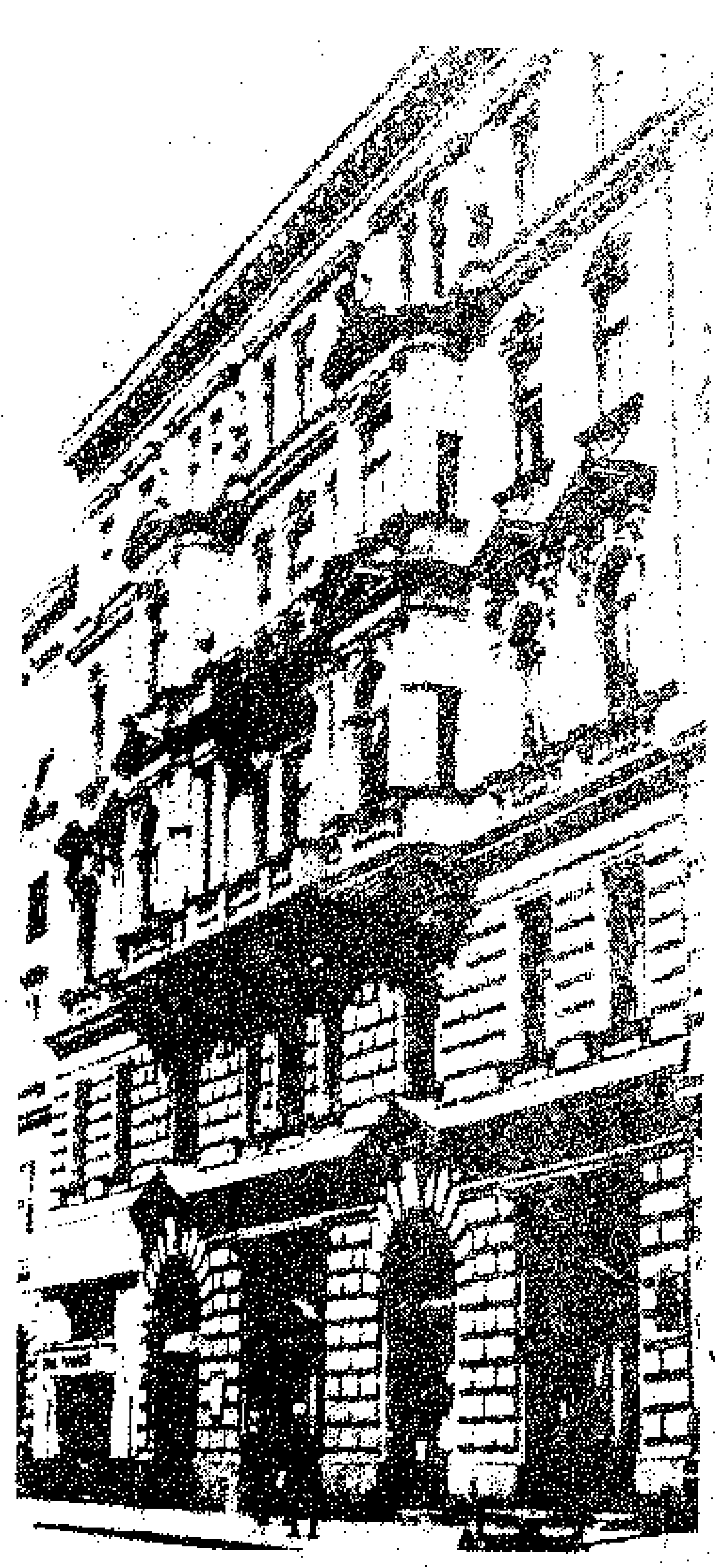
لليمين : فرويد ، فيرنزي ، ساكس ، وبالصف الثاني رانك ، أبراهام ، ايتنجون ، جونز .



فرويد مع صديقه فليس



فرويد وزوجته مع ابنتهما آنا

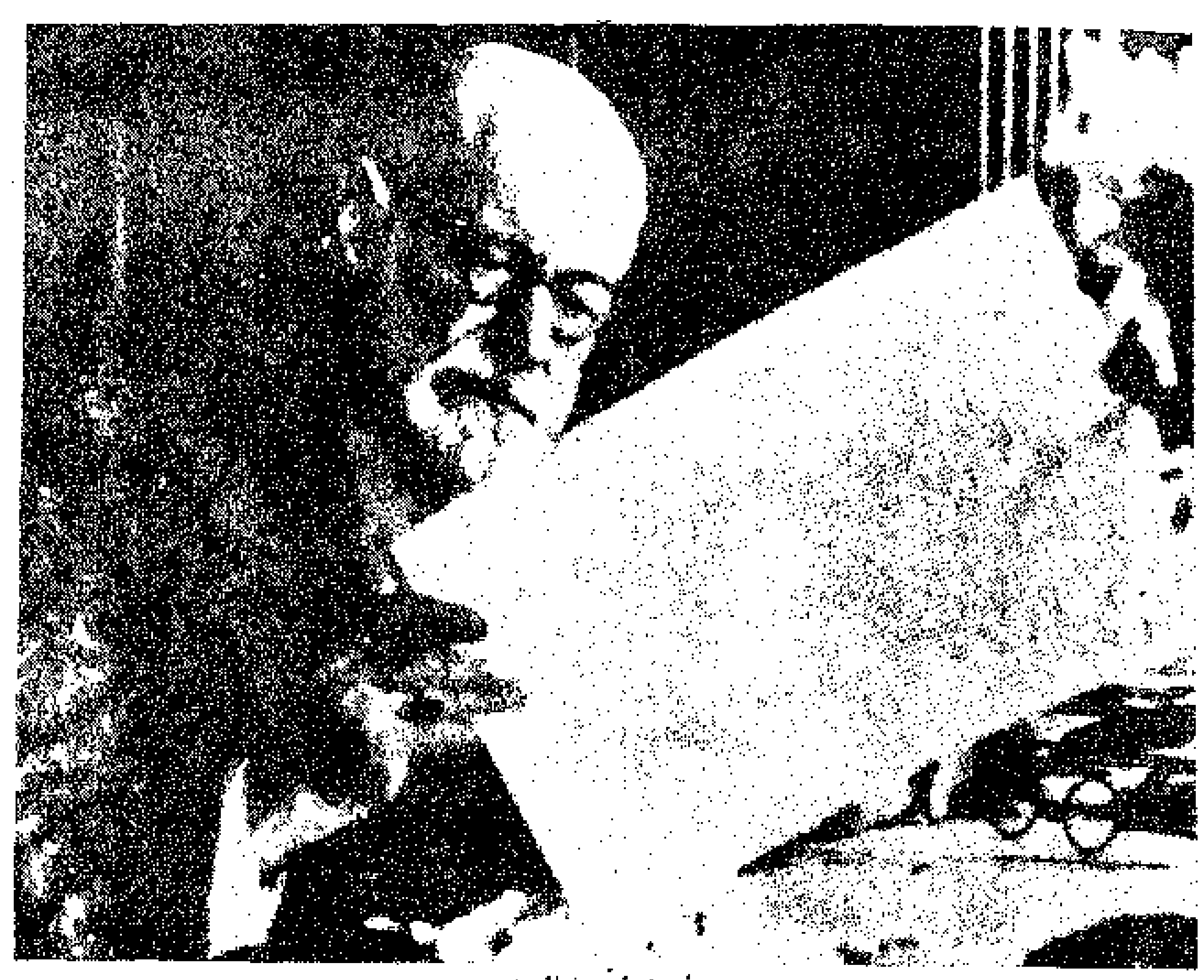


منزل فرويد وعيادته في فيينا وقد تحولا
إلى متحف وطني منذ عام ١٩٧١





فرويد مع ابنتـــــه أنـــا



فرويد في إبان الثمانين



فرويد مع اثنين من أحفاده



«الحلم» لوحة للفنان جويا

العلاقة بين الجنس والطفولة . وتأثير انحراف الجنس فى الطفل على ظهور علامات غير سوية فى البالغين •

ووجد فرويد أن رموز الاحلام كثيرا ماتظهر « رغبات جنسية فجة » • ولكنه حذر من أنه « لاينبغى الظن أن لجميع أحلامنا بواعث جنسية » •

فمثلا ، وجد فرويد أن « الملك » أو « الملكة » فى الحلم كثيرا ما يرمزان الى الاب أو الام فى الحقيقة •

وأن « السفر » أو « الخروج » قد يرمزان الى الموت •

وأن « الملابس » قد ترمز الى العرى •

وأن « العصا » أو « الشجرة » أو « المظلة » أو « المسمار » أو « السيجارة » أو « السكين » يرمز كل منها الى عضو التذكير فى الانسان •

وأن « القارب » أو « البوابة » أو « الزجاجة » أو « القوقعة » أو « العين » أو « التفاحة » أو « الصندوق » أو « الدولاب » أو « السفينة » يرمز كل منها الى عضو التأنيث فى الانسان •

وأن « الطيران » أو « الرقص » أو « الوقوع » أو «العزف على البيانو » ترمز الى العملية الجنسية •

وأن « سقوط الاسنان » أو « العمى » يرمزان الى الخصى أو العجز الجنسى •

* * *

يقوم مفهوم فرويد عن الجنس على نتائج الخبرات الجنسية الكامنة وراء أعراض مرضاه ، وتذكرهم لمواقف طفلية مبكرة يكشفون فيها عن تلك الخبرات • وكذلك على نتائج درس مظاهر الشذوذ الجنسى ، حيث تبدو العملية الجنسية عند الفرد الشاذ جنسيا بعيدة عن نشاطاته الجنسية الفعلية •

وقد كتب فرويد طوال حياته عن الجنس ، وأهميته ، وتطوره منذ الطفولة • ولكن أهم ماكتبه فى هذا الموضوع هو من دون شك دراسته « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » الذى نشر لاول مرة فى ١٩١٠ • وقد توالت بعد ذلك ، وخلال الاعوام الاثنى عشر التالية ، ست طبعات من هذه الدراسة عدل فيها فرويد ، وزاد ، فى كل منها • وسنعتمد فى هذه الفقرة على هذا الكتاب •

درس فرويد موضوع الجنس من زاويتين أساسيتين • الاولى هى تاريخه منذ بداية البشرية • والثانية هى موضوعه ، متجاوزا الموضوع الى مايحيط به من حواشى • وذكر فرويد أن موضوع الجنس قديم فى « البشرية » كما هو قديم فى « الفرد » • فمن الطبيعى أن يكون تأثيره قويا • وأن تكون غريزته صعبة الكظم • واذا ما حاولنا أن نكظمها ، أن تكون آثار هذا الكظم وبيلة علينا •

كذلك ربط فرويد ، كما يقول فولهايم ، بين تصرفات كثيرة فى حياتنا وبين الدافع الجنسى • وقال أن هناك ، الى جانب الغريزة الجنسية « عوامل جنسية » لابد من أخذها فى الاعتبار • كمثل النظر للغير ، ونظر الغير لنا • وكمثل لمس الغير ، ولمس الغير لنا •

وكمثل أحداث الالم بالغير ، وتحمل ألم الغير •

وقال فرويد أن الجنس يولد فى الطفل قبل الولادة • وأنه يمر قبل البلوغ ، بـــ « مراحل » مختلفة وواضحة • وأن « تثبيتــه » على أى من هذه المراحل يعوق تطور الجنسية السوية للانسان •

وقال ان الجنس لايخدم فى بدايته غرضا محددا • ولكن هذا الغرض يكتسبه الوليد من حاجاته الضرورية ، وأهمها فى هذا الوقت حاجته الى التغذية بلبن الام • فتنشأ عنده غريزة الرضاعة • أى امساك الطفل بثدى أمه ومصه مصا منتظما • وتسمى هذه المرحلة التى تستمر حوالى العام « مرحلة سيطرة الفم Oral Phase »

ويكون فيها نشاط الفم هو أهم نشاطات الطفل • وتكون الام هى الشخص الذى تمس اليه حـــاجة الطفل أكثر من غيره ، لا لمجـــرد الطعام وحده ، وانما للطمأنينة التى يجدها الطفل بين ذراعيهـــا • ومن هنا نرى أهمية الرضـــاعة الطبيعية للمولود ، وضرر تغـــذيته بالإلبان الصناعية • ويقول السيكلوجيون أن كثيرين ممن يعانون فى حياتهم من سوء الهضم ،وأحيانا كثرة التقيوء ، كانوا فىطفولتهم سيىء الرضاعة •

وترسخ آثار هذه المرحلة فيما بعد فى صورة « القبلة » •

ويذكرنا فرويد ان اكتشاف المولود « لذة » الرضـــاعة من ثدى أمه تخلق عنده أولى مراحل الغريزة الجنسية • ويفسر تركيز هذه المرحلة حول فمــه ، التذاذه مص اصبعـــه أو الحلمة الصناعيـــة ، وكلاهما لا يغـــذيانه • ولكن غريزة الرضـــاعة فى الطفل غـــريزة

« مكتسبة » يرى فيها فرويد نموذجا لكل مايليها من طبقات •

وقد عدد فرويد بعد ذلك ثلاث مراحل أخرى للغريزة الجنسية• الاولى حول الشرج • والثانية حول الاعضاء الشبقية • والثالثة ، وقد أضافها بعد ذلك : هى المرحلة القضيبية •

وفى المرحلة « الشرجية Anal Phase » يقل اهتمام المولود ، بين السنة الاولى والثانية من عمره ، بنشاطه الفمى ، بعد فطامه ، واستهلاله السير • كما تبـدأ الام فى توجيــه اهتمام طفلها الى عادات التبول والتبرز وغيرها من مظاهر النظافة • فينتقل اهتمام الطفل ، نتيجــة تلك الاهتمامات ، تدريجيا الى منطقة الشــرج • وتنشأ عند الطفل لذة خاصة من ملاحظته لتأثير التبول والتبرز على من حوله ، ويتولد عن هــذه اللــذة ظهور علامات الســرور والغضب الخ لنجاحه أو فشله فى التحكم فى اخراج بوله وبرازه •

وفى المرحلة « الشبقية Erotic Phase » تستمر نشــاطات الطفل الجنسية فى المنح والمنع ، والسرور والغضب الخ • وقــد ترسخ تلك النشاطات فيما بعد بمالها من قدرة على التوتر والارتخاء كما فى المستجنسين • أو تتطور عنهــا مشاعر العــدوان والشعور باللذة من الالم كما بين المحبين •

وفى المرحلة « القضيبية Phalic Phase » يبدأ الطفل من سن الثالثــة الى حوالى السادســة ، فى الانتبــاه الى الاختــلافات البيولوجية بين الجنسين • ويؤدى به اهتمامه الى الانتقــال الى مرحلة جديدة ، يشعر خــلالها الذكر بالخوف على عضوه الذكرى

من الخصاء نتيجة لخيالات جنسية طفلية تكون من أهم أسبابها المحارم الاجتماعية والخوف من الاب . واما الطفلة فتشعر خلال هذه المرحلة بالغيرة من فقدانها لقضيب مماثل لقضيب الذكر . وتصور لها خيالاتها أن هذا « النقص » يمس كمالها الجنسي وتغير من أمها التي « تمتلك » لنفسها رجلا خاصا بها .

يقول فرويد :

« ان البنات الصغار يلاحظن عضو التذكير في اخ او قريب لهن فيقارن بينه وبين أعضائهن ، و« يقمن » في حسده » .

ويقول دارسو فرويد

« ان هذه المقارنة ، وهذا الحسد « رمزى » وليس مادي وهو ينصب على مكانة الذكر الاجتماعية » .

وقد ذكر فرويد أن « اشباع » الغريزة الجنسية لا يتم ذاتيا . وانما عن طريق « مؤثر خارجي » . ولكن هذا ليس ضروريا في جميع الاحوال ، لان الاوهام قد تساعدنا على اشباع الغرائز ، كما في العادة السرية .

وذكر أن الاطفال ، أناثا وذكورا ، تتعلق جنسيا بأمهاتها . وينظر الطفل الى أمه على أنها « موضوع حبه Love Object » وإذا حرم الطفل من هذا الحب ، قد يتحول عن الطريق السوى الذي يؤدى بعد ذلك الى أشباع غريزته بطريقة سليمة . وفي هذه الحالة ، قد ينجح الطفل في التسامى بغريزته ، أو التأقلم معها ، أو الخضوع لها .

وفى المرحلة الجنسية الاخيرة ، تتعلق الصبية بوالدها ، ويستمر الصبى فى التعلق بوالدته ، فيما أســماه فرويد بــ« مركب أوديب Oedipus Complex » • ولكن تأثير هذا المركب يضعف بعد ذلك طبيعيا ، نتيجة تغلب التيار العاطفى الذى نطلق عليه أحيــانا اسم « الحب » عند خروج الطفل الى المدرسة واختلاطه بالمجتمع الى جانب ماهو واقع عليه من تأثير أسرته ، مما قد يعرضه لصراعات ويحتاج منه الى كظوم •

فاذا لم يتجه الطفل ناحيــة المجتمع ، والى خارج أســرته ، فانه يقع ، خصوصــا فى الفتاة ، تحت تأثــير عوامل قد تؤدى به الى الانحراف •

الكشف عن مركب أوديب

تأكدت علاقة فرويد بفيلهلم فلييس Fliess في نفس العام الذى توفى فيه والد فرويد ، وقطع فيه فرويدعلاقته ببروير عام ١٨٩٦ . والغريب أن فرويد كان قد تعرف على العالم البرلينى فلييس (وهو يصغره بعامين) عن طريق بروير ، حين حضر الاخير الى فيينا فى ١٨٨١ لحضور أحد المؤتمرات ، فقدمه اليه بروير ، وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٠٢ . وكانت من أقوى وأغنى الصداقات . فقد كان فلييس (وكان طبيب أذن وأنف وحنجرة) على تعدد اهتماماته ، متمرسا فى البيولوجيا والرياضيات كثير البحث ، شديد الذكاء ، واسع الخيال ، وأحيانا « الشطحات »

ومن « شطحات » فلييس على فرويد ، مما ندم عليه الاخير بعد ذلك ، بحث العلاقة بين الامراض النفسية وشكل الوجه ، خصوصا الانف . على أن خطابات فلييس لفرويد ، وخطابات فرويد اليه (وقد كشف عن الاخيرة فى سنة ١٩٥٠) فى برلين بعد أن

أنقذت من دمار الحرب) تؤكد الالفة والثقة الكبيرة التى كان يوليها كلّ منهما فى الاخر • وقد ازدهرت تلك العلاقة بين الأعوام ١٨٩٤، و١٨٩٦ ، ثم أخذت فى التراجع منذ عام ١٩٠١ • وانتهت تماما فى ١٩٠٢، • وتوفى فلييس صغيرا فى ١٩٢٨، •

لماذا كان يغضب فرويد بهذه الشدة على أكثر من عرف من أصدقاء وتلاميذ ؟ •

لقد قيل أنها بعض شخصيته المتشددة ، والبطريركية ، والتى لم تكن ترضى له بالتسامح . أو مجرد قبول المناقشة ، مع أحد من أصدقائه وتلاميذه • وقيل أنها يهوديته ، واحساسه بالعزلة فى فيينا • وانها « انعكاس من غضبه السابق نحو والده » • وأنها خروج العديد من تلاميذه عليه • وأنها السرطان الذى أصابه منذ عام ١٩٢٣ واستمر يؤلمه ويعذبه حتى آخر حياته •

* * *

كتب فرويد لفلييس بعد وفاة والده بأيام :

« ان وفاة والدى قد أثرت على تأثيرا قويا • فقد كنت أقدره تقديرا تاما ، وافهمه فهما كاملا • وقد لعب دورا كبيرا فى تشكيل حياتى ، بسبب تكوينه الذى يمزج بين الحكمة العميقة والفانتازيا الخفيفة • لقد عاش معى طويلا • ولكنه منذ توفي ، توالت على ذهنى صور الايام التى عرفته فيها • اننى فى غاية الاسى » •

نعم • لقد هزت وفاة والد فرويد حياته من أساسها ، وطرحت أمامه أسئلة واستفهامات كثيرة • وجعلته يتساءل عن حقيقة مشاعره

نحو والده • وأيضا صدق ماوصل اليه من نظريات . وما فرض من علاجات .وما يواجهه أحيانا من مشكلات عويصة •

ويقول أرنست جونز : ان السلوك غير السوى للاباء (أو الكبار) نحو الابناءهو الذى يؤدى الى كظم غريزتهم الجنسية . وظهور سمات القلق النفسى عليهم • ويؤدى هذا الى سلوك غير سوى عن الابناء نحو آبائهم (ونحو المجتمع) • ويؤكد جونز أن شيئا من هذا قد حدث لفرويد وهو فى الخامسة من عمره •

ويقال أن فرويد قد نقل نظريته التى نتكلم عنها « نظرية الاغواء Seduction Theory » والتى أطلق عليها أحيانا اسم « الصدمة الجنسية The Sexual Trauma » عن شاركوه • وجعلها أهم أسباب النيوروز • ولكنه تخطاها بعد ذلك الى درس الجنس فى الطفولة ومركب أوديب • قيل لابعاد الشبهة عن نفسه وعن والده •أو ، كما كتب هو لفلييس ، لانه من غير المعقول أن تكون اساءات الكبار للاطفال بهذا الانتشار •

على أن من تلاميذ فرويد المحدثين من يظن أن نظريته كانت صحيحة • وأنه كان من الواجب عليه أن يتابعها والا يتركها •

* * *

وفى ١٨٩٥ أخذ فرويد باقتراح فلييس بأن يبدأ بتحليل ذاته ؛ محاولا أن يستعيد ، وأن يفسر أحلامه ، منذ كان طفلا • وكتب فى ١٨٩٧ الى فلييس :

« ان نفسى ، أنا أيضا ، قد أثقلت بالحب لوالدتى ، وبالغيرة من أبى . حتى اننى اعتبر هذه المشاعر الان ظاهرة عامة تشمل جميع الاطفال . فاذا كان هذا صحيحا ، فانه يؤكد لنا حقيقة مركب أوديب » .

وكتب أرنست جونز : أن تطوير فرويد لاسلوب التحليل النفسى هو أحدى معجزتين بارزتين فى حياته . وأما المعجزة الثانية فهى تطبيقه لهذا الاسلوب على طفولته ، ثم اكتشافه لمركب أوديب .

وقد وجد فرويد فى تحليله لذاته أنه كان يغار بشدة من أخيه الاصغر يوليوس ، الذى كان يصغره بعام واحد ، ثم لم يعش أكثر من أعوام قليلة . ووجد أن وفاته قد أصابته بالاسى والندم

وظن فرويد أن سبب قلقه النفسى بعد ذلك هو غيرته من ابن أخيه ، جون ، الذى كان يكبره بعام واحد . وكان « صديقا حميما وعدوا رهيبا » له . وكانا معا يحيكان المؤمرات الصغيرة على ماسبق القول .

ووجد أن حبه لوالدته وغيرته عليها كانا طاغيان . وأن مشاعره نحو والده كانت تتراوح بين الحب والكراهية ، وبين الاعجاب والاسى . وأن هذه المشاعر قد سبب له أحلاما مزعجة كثيرة وهو طفل . وروى فرويد أنه وهو فى السادسة ، وكان ينام بين والديه على فراشهما ، قد تبول فى الفراش . فثار عليه والده ، وقال له : انك لن تكون يوما شيئا ناجحا . وكان فرويد يتذكر هذه الكلمات بعد ذلك أمام كل تحد يصادفه ، فتملأه بالعناد . ولا تبرح الكلمات ذاكرته اذا ما واجهته صعوبة . وعندما كبر والده ، وأقعده المرض ، وأصيب بالعمى ، وأخذ هو فى مساعدته فى تغيير ملابسه ،

والتبول والتبرز على سريره ، كانت مشاعره نحو والده تتراوح بين الشماته والاسف ! .

* * *

اكتشف فرويد أن « مركب أوديب » هو « صميم مشكلة الجنس فى الطفولة . وبعد ذلك فى حياة البالغين . وحجر الاساس فى التحليل النفسى . (اذ هو) البذرة الاصلية والمحرك الفعلى فى الاحلام ».

ويصف فرويد مأساة أوديب الاغريقية ، حيث قتل الابن والده وتزوج من أمه ، بأنها « تصوير مستتر لرغبة الطفل فى بلوغ الفحش الذى يصده المجتمع عن اقترافه » . ويقول : « ان واجب كل انسان عصرى هو أن يتغلب فى نفسه على هذا المركب » .

وفى هذه المأساة الاغريقية يحذر المنجمون الملك مما سيفعله به ابنه . فيأمر الملك بأن يقتل وليده . ولكن الام تهربه من القصر الى بعض الرعاة ، فيربونه بينهم عارفين بحقيقته ، حتى يشب عوده ويقوى جسده ، ويلمع ذهنه . وحينئذ يتمكن الابن من العودة واغتصاب عرش أبيه ، والزواج من الملكة ، والدته . وينجب منها أبنائهما . ثم يجىء من يفتح عيونهم بالحقيقة ، ويثبتها لهم . فتقتل الام نفسها . ويفقأ الابن عينيه .

ولا ننسى هنا المعنى الجنسى الواضح ، عند فرويد ، للعينين . يقول فرويد : «أن الانسان السوى يشمئز من أى اتصال جنسى بين الاب ووالدته .. بينما هو فى الحقيقة يرجوه » ! . أنظر الى ما ثبت من وجود شبه واضح بين الام والزوجة التى يختارها الابن .

ان الزوج كثيرا مايختار زوجته على غرار والدته .

« ومع ذلك .. فان هذه الحقيقة التاريخية (زواج الابن بأمه) التى يؤيدها ، بطريق غير مباشر فولكلور شعوب كثيرة ، لم تجد يوما من يجرؤ على التصريح بها ، فى أى حضارة من حضارات العالم » .

يقول فرويد :

« ان في خيالات المراهق دوافع صبيانية ، تظهر بين كل حين وآخر في أحلامنا . ومن أهم هذه الدوافع ، الدوافع الجنسية التى تراود افكار الابناء ، كالنغمة المترددة ، نحو والديهم . ويحدد اتجاه هذه الدوافع نوع المولود . فبعد المرحلة الاولى من اتجاه المولود نحو والدته ، يرغب الصبى فى والدته ، ويغير عليها . وترغب الصبية في والدها ، وتغير عليه . ولكن مع رفض ، وتراجع ، هذه الدوافع الجنسية الاولى ، تتكون واحدة من أهم المعجزات السيكلوجية ، وهى كظم الصبى والصبية لهذه المشاعر تحت تأثير المجتمع ، وظهور الحب . فيكون تحرر الابناء على سلطة الاباء واستقلالهم فى المجتمع » .

يقول فرويد :

« ان القلق الذى يحدثه السلوك غير السوى فى الطفل ، يؤدى به الى خوف جنسى ، وهو خشيته من أن يعاقبه والده باستئصال قضيبه . ويؤدى بالصبية الى شعورها بالنقص لحرمانها من هذا العضو الذى تراه فى الصبيان . وينتهى هذا الى غيرة الصبى من والده ، وغيرةالصبية من والدتها ، ورغبة كل منهما فى الاستحواذ على مكان الوالد أو الوالدة » .

هذا الخوف الذى يتمثل فى خشية الطفل من اعتداء والده عليه ، :فه فرويد بعد ذلك صريحا فى حالة المريض « هانز الصغير

« Little Hans » الذي ثبتت فى ذهنه تلك العقدة . واحتاج الى علاج طويل حتى شفى منها على يد فرويد .

واذا كان هذا هو شعور الرجل العادى نحو والده ووالدته . فما هو شعور الدون جوان أو الكازانوفا ؟ ! .

يقول فرويد : ان مثل هـذا الشخص قد تأثر بوالدته تأثيرا زائدا ، لم يستطع التخلص منه . وأن اهتماماته الظاهرة بنساء كثيرات تخفى صعوبات جنسية بالغة معهن . وأنه كثيرا مايكظم فى نفسه رغبة شديدة لاشخاص من جنسه .

* * *

لم يكن سهلا للعالم . وحتى لاصدقاء وتلاميذ فرويد . قبول كل آراء فرويد حول الجنس ، ودوره فى الطفولة . ومركب أوديب الخ لقد لقيت هذه الآراء معارضة قوية من الخاصة . وساخرة بين العامة . وحتى بين أصدقاء وتلاميذ فرويد . نجد « يونج Jung » يرفض تمييز الغريزة الجنسية عن غيرها من الغرائز فلا يسلم لمركب أوديب الا بقيمة رمزية فقط . ونجد « أدلر Adler » يصر على أن العدوان هو أصل الغرائز كلها ، وأن لكل مشكلة سيكلوجية فى بدايتها مركب نقص عضوى .

وقد قطع فرويد علاقته بأدلر منذ ١٩١١ ، وبيونج منذ ١٩١٤ .

القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)

يظن أرنست جونز أن فـرويد كان قلقـا منذ طفولته • وأنه أصيب وهو فى الثلاثينات من عمره بأزمات قلبية متكررة . عزاهـا طبيبه الى انسـداد فى الشـرايين ، ووصفها جونز بأنهـا كانت « هستيرية » • وأرجـع فولهايم قلق فـرويد وهو فى طفولته الى خشيته من الموت ، وبالذات بسبب وفاة أخيه الصغير يوليوس • ثم وفاة ابنة فرويد « صوفى Sophie » فى طفولتها • وعنـدما توفى والد فرويد وهو فى الاربعينات ، ظنها فرويد « ضربة قاضية » لتعقد مشاعره وشعوره بالذنب ، الذى تحدثنا عنه ، نحو والده •

وكان فرويد قد لاحظ ، فى حوالى ١٨٩٥ ، العلاقة بين حـالات القلق النفسى والجنس • وقال أن أسباب القلق تعـود « لسنوات الطفولة ولطبيعـة الحيـاة الجنسية للطفل ، وتصـارع العوامل الشخصية والاجتماعية فى نفس الطفل ، واضطراره الى كظمها » •

ثم قال بعد ذلك أن انحباس الليبيدو يولد القلق • والقلق هو الذى يولد الكظم • وليس الكظم هو الذى يولـد القلق • وأما النيوروز (العصـاب) فيسببه ، عند فرويد ، الفشـل فى تحقيق

رغبات مكبوته • وهنا يمكن للانسان أن يتسامى بغريزته ، أو يتحول عنها . أو يخضع لها • ولكن هذا ليس سهلا ، لشدة العواطف التي تحكمة •

وكان فرويد قد قال أن سبب القلق قد يعود الى «اساءة جنسية» كثيرا ما يسببها أب . أو بالغ ، للطفل • ولكنه في ١٨٩٧ تخلى ، كما ذكرنا . عن هذه الفكرة جزئيا وقال : ان سبب القلق النفسى ليس بالضرورة اساءة جنسية من الاب للطفل » •

فاذا تمكن النيوروز (العصاب) ظهرت على المريض مظاهر وسمات غير عادية ، منها الارتياب ، والخوف . من أشياء محددة أو غير محددة . والاتيان بحركات غير عادية ، وظهور آلام حادة على بعض أجزاء جسمه •

ووظيفة المعالج ، عند فرويد ، هى التخلص من كل مايظهر من هذه الظواهر •

((لانها هى كل مايتبقى من النيوروز • وحقيقى أن الاطباء يفرقون بين المرض وظواهره ، ويعلنون أن التخلص من الاخير لايعنى القضاء على المرض • ولكن مايتبقى من المرض النيوروزى بعد القضاء على ظواهره هو قدرته على احداث ظواهر جديدة • ولهذا فاننا نرى أن القضاء على هذه الظواهر هو نفسه قضاء على المرض)) •

وقد عالج فرويد فى فيينا عددا من المرضى بالنيوروز (العصاب) لعل أشهرهم هو الضابط فى الجيش النمساوى ، والذى يرمز اليه بأسم « الرجل الفأر Rat Man » • وكان هذا الضابط قد استشار

فرويد لاول مرة فى أواخر ١٩٠٧ ؛ واستمر علاجه حتى بداية عـام ١٩٠٩ • وقد نشر فرويد تفاصيل تلك الحالة أواخر ذلك العام •

شكا « الرجل الفار » لفرويد من خوفه الشديد عـلى بعض من يحب ، وهما أبيه واحدى السيدات • ومن تفكيره أحيانا فى التخلص من الحياه بقطع رقبته بموسى الحلاقة • فلما تحدث اليـه فرويد مرات ، ظهر له أن السبب الذى فجر مخاوف الضابط هو ماسمعه من زميل له فى الجيش النمســاوى من أن الصينيــين كانوا اذا ما أسروا بعض الاســرى ، يعذبونهم بتثبيت سلة بها فئران جائعـة حول مؤخرتهم • فلا تجد هذه الفئران أمامها سبيلا للخـروج أو للطعام الا قرض مؤخرات هؤلاء الاسرى ! •

وقد تأثر الضابط تأثيرا شديدا بما سمع • وأخذ يفكر فيما قد يحدث لاحبائه ، أى والـده وتلك السيدة ، اذا ماوقعوا أســرى فى أيدى الصينيين ! •

وكان الضابط يروى قصته الغريبة ، على عادة مرضى النيوروز (العصاب) فى هدوء ، وعن اقتناع تام بها • وكان يثور لمناقشـة فرويد له فى تفصيلاتها • حتى أنه كاد يعتـدى عليه اعتداء بالغـا عقب احدى الجلسات • ولكن فـرويد وجد عنـدما استدرجه فى الحديث عن هذه السيدة ، أنها كانت حبيبة له ، ولكنهما افترقا منذ شهور ، وعندما استدرجه فى الحديث عن والده انه كان قـد توفى قبل تسع سنوات من تلك الرواية ! •

* * *

ان الخيال عند الفرويديين مهم كمثل اهمية الحقيقة ، حيث ان الاصل فى الخيال ، كما فى الحقيقــة ، هو « الدافــع » وآثاره على على النفس •

ولكن الفرويدية توحد بين الجنس وغرائز الحياة • وترى ان « الغريزة الجنسية Sex Instinct » هى مركز الطاقة النفسية وأصل النشاط العقلى • وأن الغريزة الجنسية تنشط طبيعيا عنــد احتداد عاطفتها ، فتبعث الحركة فى الانسان •

وقد جعــل فرويد من الغــريزة « الجنسية » غريزة أســاسية ومحركة لكل نشاطات الجسم • ولكنه سلم ، خصوصا فيما بعد ، بوجود غرائز أخرى • كغــريزة الحب « ايروس Eros » التى تزيد ، وتحــافظ ، على الاشــياء • وغــريزة المــوت « ثاناتوس Thanatos » التى تدمر الاشياء • ومــع انه رفض فى حوالى ١٩٠٩ قبول غريزة منفصلة لــ « العدوان Aggression » تناظــر غريزة « الجنس » • وكان هذا من أهم أسباب خلافه مــع أدلر ، الذى تمسك أيضا بمركب النقص ، فانه قد عاد فى ١٩٢٣ فكتب :

« اننى أسلم الان بوجود غريزة للعدوان حتى وان كانت تختلف عن الغريزة التى وصفها ادلر » •

وكان فرويد قدلاحظ بعض أوجه الشبه بين غريزتى « العدوان » و « الموت » ولكنه كان دائم التشبث بالاخيرة ، لان « الغــرض من كل أشكال الحياة هو الموت » • وكان قدلاحظ أن كل انسان متحضر

« يتجنب قدر المستطاع ان يتحدث عن موت الاخــرين • بل انه لايتصــور نفســه متمنيا موتهم ، دون ان يتهم نفســه في

مشاعره ، ووصفها بالقسوة وسوء النية . اللهم الا اذا كان طبيبا او محاميا او و شيئا من هـذا القبيل ، وكان عليـه ان يتعـامل مع فكرة المـوت من وجهـة النظـر المهنيـة . وفى غير هذه الاحوال ، لايسامح الانسان المتحضر نفسـه اذا تطرق تفكـيره الى تمنى الموت للاخرين ، خاصـة اذا كان في موت الاخرين بعض النفع له ، كأن يحصل على حرية او يكسب بعض المال او يفوز بمركز من المراكز » .

الى أن يقـول :

« لقد تعودنا أن نؤكد أن الموت يأتى بالصدفة ، فى حـادث ، أو بسبب مرض أو عـدوى ، أو بفعل الشيخوخة . وبهـذه الوسيلة كشفنا عن محاولتنا التقليل من شأنه . فبدلا من أن ننظر اليه كضرورة ، اعتبرناه حادثا وعرضا . ولكن ربما كان شعورنا تجاه الشخص المتوفى هو شـعور المعجبين بشخص استطاع أن ينجز عملا شاقا وأن ينتهى منه . فنحن نؤجـل نقـده . ونتجـاوز عن اخطائه .. ونهتف صائحـين : الله يرحمه .. ونجد في هذا التعبير مايبرر ان نسـتعيد محاسنه وأن نتناسى مالا ينفـع ذكراه ولكن فكرة موت الالاف تبـدو لنا في نفس الوقت بشعة جدا ، الا مع الحـرب التى تكتسح نظرتنا التقليدية الى الموت . فالحرب تواجه الانسان بالموت وتجبره على الاعتراف والاقرار به . لان الناس فى الحـرب لايموتون بالاحاد ، بل بالعشرات فى وقت واحد ، بل بعشرات الالوف في اليوم الواحد . ولذا لايعد الموت فى الحرب صدفه ، فان حصيلة الاحتمالات هنا لاتدع قولا للصـدفة . وبانتفاء هذه الصدفة ، تستعيد الحياة اهميتها ومغزاهـا ، وتستقيم نظرة الانسان اليها » .

ويقول فرويد أن موقف الانسان البدائى من الموت « قـــد تميز بالتناقض » • لانه لم يكن ينظر الى الموت نظرة واقعية يسلم فيها بنهاية الحياة . ويتعامل معه بهذه الصفة •

« ويرجع هذا التناقض أساسا الى التضـــارب فى مواقفة من موت الاخرين من الاغراب والاعداء ، ومن موته هو نفســـه • فهو لم يكن يعتـــرض على موت الاخـــرين طالما أنه يكرههم • فموتهم معناه ازالتهم من الوجـــود ، وهو لا يمانع فى هـــذا • ولكن الانسان البدائى لم يكن يتصور أنه هو ايضا سيموت ، مثله فى ذلك مثل أى انسان آخر • فاذا مات شخص عـــزيز عليه ، كزوجـــة أو طفلة أو صديقـــة ، ممن يحبهم حبا جما ، فهنا يعرف أنههو نفسه ليس بمنأى عن الموت • ومعذلكفربما أحس احساسا غامضا أن موت هذا العزيز له مايبرره ، فقد كان فيه دائما جزء غريب ومعاد لم يكن قد استدمجه فينفسه • « ويدعى الفلاسفةأن صورة الموت قد حيرت الانسان البدائى ودفعته دفعا الى التفكير • وأن تفكيره كان نقطة البداية لكل تفكير فلسفى على الاطلاق • ولا أظن الفلاســـفة علىصواب فيما يزعمون ، وأحسب أنهم قـــد شطحوا فى فلسفاتهم • وانا لذلك اشـــطح مثلما فعلوا ، فأقول : لم يكن الانســـان البدائى وهو يرمق جثـــة عدوه مطروحة فى العـــراء ، يرهق ذهنـــه بالتفكير فى لغز الموت والحيـــاة • لكنه كان يزهو بما حققه عليه من انتصـــار • وكان يرفض تقبل موت العـــزيز ، وتتضارب ازائه مشـــاعره • ولهذا تقبل الانســـان البدائى الموت كحقيقة ، لكنه رفض أن يعترف بأن الموت نهاية الحياة • وتصور أن الارواح الشريرة تخرج من جسد الميت ، وتخيلهـــا عفريتا مرعبا ، قد يعود اليها ، ويحتـــاج الى أن يتخلص وأن يتطهر منها قبل مخالطة غيره » •

فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية

أخذت مكانة فرويد فى الازدياد ، وشهرته فى الذيوع ، فى داخل وخارج النمسا ، منـذ بداية القرن الحالى • وفى عام ١٩٠١ بـدأ فرويد فى الاجتماع بتلاميذه فى عيادته مساء الاربعاء من كل اسبوع وفى ١٩٠٧ زار يونج فرويد فى فيينا • وفى العام التالى زاره فيها فيرنيتزى Ferenczi • وعقـد المؤتمر العـالمى الاول للتحليل النفسى فى مدينة الموسيقى والاحلام« سالزبورج » فى جنوب غربى النمسا • وقد حضره يونج وأدلر بريل Boill وأرنست جونز •

وفى ١٩٢٠ ، اتفق فرويد مع ثمانية من أهم تلاميذه الاوربيين على الاجتماع بهم فى شكل مؤتمر مرة فىكل عامين فى مدينة أوروبية مختلفة • وقد أهدى فرويد ستة من أقرب هؤلاء التلاميذ بعد ذلك نسخة من الخاتم الذى يحمله فى أصبع يده اليمنى ، والذى يمثـل رأس كبير آلهة الاغريق جوبيتر •

وكان فرويد قد بدأ منذ عام ١٩٠٧ فى تطبيق التحليـل النفسى على الاعمال الادبية والفنية • وقد وجد أن الحاجة تمس لايجـاد منبر علمى ينشر فيه مع تلاميذه أعمالهم وبحوثهم ، فأصـدر مجلة

منتظمة جعل من أغراضها الاساسية ، الى جانب دراسة السيكلوجيا دراسة الاخلاقيات • وقد نشر فرويد فى ١٩١٤ « الطوطم والتابو (المحرم) » ، وفى ١٩١٦ كتابه عن « ليوناردو دافينشى » • وكان قد بدأ منذ ١٩١٠ فى نشر دراسته عن طبقات الشخصية الانسانية ، وهى التى جمعها فى ١٩٢٣ فى كتابه « الايجو (الانا) والايد (الهو) » [*]

ويقول أرنست جونز أن مادفع فرويد الى تناول مشاكل الفنون والآداب والميثولوجيا ، كان هو بعض ماقرأه من آراء صديقه وتلميذه يونج حول هذه المواضيع • فقد وجد فرويد أن يونج يناقش هذه المواضيع مناقشة تاريخية ، وأحيانا أسطورية ، وحتى غيبية ، بينما كان فرويد يريد تحليلها سيكلوجيا وتفسيرها تفسيرا نفسيا • وقد امتد الخلاف بين فرويد ويونج بعد ذلك الى مواضيع أخرى ، من أهمها حقيقة مركب أوديب ومقام غريزة الجنس بالنسبة للغرائز الاخرى ودراسة الشيزوفرينيا (الفصام) •

يقول فرويد أن الشخصية الانسانية تتألف من ثلاث طبقات هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والسوبراجو (الانا الاعلى)

ولكن هذه الطبقات افتراضية ، وليست مادية • وهذا التقسيم الافتراضى ، غير النهائى ، هو ما أطلق عليه فرويد بالالمانية اسم « سيكلوجية الاعماق Tiefenpsychologie » أى أعماق النفس البشرية أو العلم الذى يكشف عما فى أعماقها •

وتتألف « الايد (الهو) Id » من مجموع الغرائز والعواطف التى تولد مع الانسان ، والتى تحركها دوافع الرغبة واللذة

والعدوان ، كالجنس والطعام الخ • وهى تحتاج منه ، مهما كان التناقض بينها ، أو صعوبة تحقيقها بسبب العرف أو المجتمع ، الى تلبية فورية •

و « الايجو (الانا) Egoe » هو هذا الجزء الذى يتأثر بالواقع ويحس بالمجتمع ، ويقدر أن ماتطلبه غرائز الايد (الهو) ليس دائما مما يمكن تحقيقه • وان على الانسان العاقل أن يتصرف فى حدود ماهو ممكن فقط •

وتتكون « السوبرايجو (الانا الاعلى) Superego كنتيجة لعلاقات الفرد مع أسرته أولا ثم المدرسة والمجتمع الخ • فهى مايطلق عليه أحيانا اسم « الاخلاق » أو « الضمير » • ونواهيها داخلية ، تتكون وتتبع من داخل الانسان ، بدلا من موانع (الايجو) الخارجية عنه •

والتباين بين هذه الطبقات الثلاث قد يكون كبيرا • والصراع بينها قد يحتدم ، ولكننا لانشعر بهذا الصراع فى صحونا • وانما قد نشعر به خلال نومنا ، حين قد تفضحه أحلامنا •

* * *

ذكرنا أن نشاط فرويد كان كبيرا ومتعددا • فقد كان يستقبل ثمانى الى عشر مرضى كل يوم ، ويكتب كتبه وبحوثه ومقالاته • ويرد على خطاباته بنفسه وبخط يده • وقد ذكر أرنست جونز أنه كان يرد على عشر خطابات من خطابات أصدقائه وتلاميذه خلال ساعة واحدة •

ولكن فى ربيع ١٩٢٣ تأكد فرويد من اصابته بســرطان خبيث فى فكه الاسفل وأجرى أولى عمليات استئصاله • ولكن السرطان كان يعاود الظهور فى جهات مختلفة من الفك ، مما أرغم فرويد على اجراء علاجات كثيرة مؤلمة و ٣٣ عملية جراحية كبرى لاستئصاله • وكان أكثر هذه العلاجات وبعض العمليات يجرى دون تخــدير • وقد سبب السرطان آلاما هائلة لفرويد • وتوفى فــرويد فى النهاية بسببه . بعدظهوره واجراء أولى عمليات استئصاله . بستة عشر عاما

وقد اضطر السرطان فرويد الى أن يقلل من نشاطاته • فأنقص زواره ومرضــاه • وأوقف محاضراته العامة لصعوبة نطقـــه للكلمات • بل ورفض كل دعوة للطعام ، اذ أصبح لايستطيع المضغ فى سهولة ، وتأفف من ذلك أمام الاغراب •

وكان النازيون الالمان قد رفضوا الفرويدية منذ بداية ظهورهم فى المانيا ، وأخــذوا يحرقون كتبها منذ عــام ١٩٣٣ • فلما دخلت جيوشهم فيينا . فى ١٩٣٨ ، ضيقوا على فرويد حتى اضطروه الى اغلاق عيادته• ثم منع من استقبال أصدقائه، حتى اضطر للتوقف عن الكتابة • ومع ذلك ، فمما يدل على طبيعته ، أنه حين أحس بالفراغ أخذ فى ترجمة مؤلف صغير عن السرطان من الفرنسية الى الالمانية

ولكن الرأى العام العالمى كان يضغط عــلى النازيين ، بحيث لم يكونوا يستطيعون المساس به رغم يهوديتــه وتبــاين أفكاره عن أرهم • ثم اضطروا بعد شهر واحد من دخولهم فيينــا للسماح الهجرة الى انجلترا •

وقد استقر فرويد فى لندن فى أواخر ١٩٣٨ ، ولكنه لم يمارس العمل فيها كمعالج ، بل اقتصر نشاطه فيها على الكتابة وحدها .

وتوفى فرويد فى لندن فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ عن ٨٣ عاما .

تواريخ فى حيـاة فـرويد

١٨٥٦	ولادة سيجموند فرويد فى فرايبرج بمقاطعة مورافيا .
١٨٦٠	الهجرة الى لايبتزيج ثم فيينـا .
١٨٦٥	بداية المرحلة الثانوية فى مدارس فيينـا .
١٨٧٣	فرويد يختار بعد تردد دراسة الطب .
١٨٧٦/٨٢	الالتحاق بمعمل أرنست بريكه .
١٨٧٨	بداية علاقة فرويد بصديقه بروير .
١٨٨٠	الانقطاع عن الدراسة لاداء الخدمة العسكرية .
١٨٨١	الانتهاء من دراسة الطب والعمل فى حقل البحوث العصبية
١٨٨٢	فـرويد يدرس مع بروير حـالة مريضته « أنا أوه » ويتعرف على زوجته المقبلة مارتا بيرنيز .
١٨٨٢/٨٥	العمل طبيبا عصبيا بالمستشفى العام بفيينا .
١٨٨٥/٨٦	فـرويد يحصل على منحة ويختـار أن يدرس التنويم والايحاء على شاركوه فى باريس ، وعنـد عودته يعمل فى مستشفى سالبتريير ويبدأ عيادته .
١٨٨٦	الزواج من مارتا .

١٨٨٦ ٩٣ العمل بمستشفى كاسوبتز بفيينا .

١٨٨٧ بداية علاقة فرويد بفلييس .

١٨٨٩ السفر الى نانسى بفرنسا لدرس التنويم علىيدبيرنهايم

١٨٩٢ فرويد يجرب تداعى الافكار مع مريضته اليزابيث فون أر

١٨٩٥ فرويد ينشر مع برويير كتابه الاول « دراسات فى الهستيريا » .

١٨٩٦ القطيعة مع برويير : وبداية التعاون مع فلييس ، واستخدام تعبير « التحليل النفسى » ، وفى أكتوبر وفاة والد فرويد (عن ثمانين عاما) .

١٨٩٧ فرويد يراجع أعماله ويحلل نفسه ، فيكتشف الجنس فى الطفولة ومركب أوديب .

١٨٩٨ الانتهاء من كتاب « تفسير الاحلام » الذى نشر بعد ذلك بعامين .

١٩٠١ تدهور العلاقة بين فرويد وفلييس .

١٩٠٢ تعيينه استاذا غير متفرغ بجامعة فيينا .

١٩٠٥ فرويد يبدأ رسائله مع استاذ بجامعة زيوريخ بلويلر ، ويتعرف عن طريقه الى يونج .

١٩٠٧ فرويد يبدأ تجربة نظرياته على الآداب والفنون .

١٩٠٨ فرويد يحضر المؤتمر العالمى الاول للتحليل النفسى فى سالزبورج .

١٩٠٩ السفر الى الولايات المتحدة والحصول على الدكتوراه الفخرية من جامعة كلارك .

١٩١١	القطيعة مع أدلر : وفتور العلاقة مع يونج .
١٩١٤	فرويد يقطع علاقته بيونج .
١٩١٥/١٧	تجهيز محاضراته التمهيدية متضمنة افكاره الكاملة .
١٩٢٠	نظريات فرويد تتسع لغريزة جديده هى غريزة الموت .
١٩٢٣	فرويد يتأكد من اصـــابة فكه بالسرطان ويجرى أولى عملياته لاستئصاله .
١٩٣٠	وفاة والدة فرويد عن خمسة وتسعين عاما .
١٩٣٣	النازيون يحرقون كتب فرويد فى برلين .
١٩٣٨	النازية تطارد فرويد من النمسا فيتركها الى انجلترا .
١٩٣٩	وفاة فرويد عن ٨٣ عاما

بعض سلبيات وايجابيات الفرويدية

تناولت الفرويدية « نفس » الانسان كعلم ، له قواعــده التى تماثل علوم جسده • ووضعته موضع دراسة مقارنة يمكن تحديدها وفهمها • وجعلت للانسان خواصا نفسية موحــدة يمكن القياس عليها وتحديد ما هو خارج عنها • وساهم فرويد بدراسات كثــيرة نحو فهم الشخصية الانسانية ، وتقديم الاجابات التحليلية والعلاجية والفلسفية لمشكلاتها • كذلك قدمت الفرويدية آراء هامة فى نواحى الاخلاق ، والفنون والآداب ، وألقت بنظــرات ثاقبة عــلى تاريخ الانسان ، ونشأة وتطور عقائده وأساطيره •

ومع ذلك •• هناك من يقول أن الفرويدية قد قامت على أساس أكلينيكى ، غير تجريبى ، يستهدف مساعدة المريض ، وليس تفسير ماهية مرضه • فهى ليست «علما» • أو هى تفتقر ، على الاقل ، الى أساليب القياس الرياضية التى تتميز بها العلوم الاخــرى • وأن التحليل السيكلوجى عند فرويد ، وفهمه للنفس الانسانية ، أقرب الى الفلسفة منه الى العلوم • وأن بعضهــا قد يؤلف « خيالات » فنان • أو هى مدلولات أو تفسيرات « لفظية » لبعض مئــات من مرضى النيوروز (العصاب) من الطبقة المتوسطة بفيينا • ففرويد

من هذه الوجهة . أقـرب الى أن يكون عالمـا لغويا قبـل أن يكون فيلسوفا أو عالما نفسيا ! .

ويؤكد السلوكيون . وعلمـاء الوراثة . على أن فرويد تجـاهل تجاهلا تاما العوامل البيئية والوراثية التى قد تؤثر ، من دون شك ، فى سلوك الانسان .

ومن بين علماء النفس من يعارض فرويد فى أصول وتفاصيـل كثيرة . بل أن أحدا منهم لم يوافقه موافقة كاملة عـلى ما أسماه بـ « غريزة الموت » .

ويتسـاءل بعض نقاد فـرويد والتحليل النفسى : هـل شفى التحليل الفرويدى مريضا واحدا ؟ ! .

ويقول غـيرهم أن فـرويد . بحكم جذوره اليهودية ونشـأته البطريركية، قد قسـا قسوة شديدة عـلى المرأة . فقد أكد على نقصها البيولوجى والغريزى . وعلى غيرتها الجنسية السـافرة من الرجل . ورأى فى «زهوها بجسدها تعويضا عن نقصها الجنسى » وفى« تواضعها رغبة دفينة فى مداراة هذا النقص » ! .

وعلاوة على هذا جعل فرويد من الحب مقابلا كاملا للشهوة . واعتقد أن ظهور الشهوة ، يعنى اختفاء الحب . وأن تفريغ الانسان عن شهوته يعنى تخطيه للخط الفاصل بين الحب والشهوة ، وتخليه عن صفات المحب .

* * *

لم يعد العلاج النفسى المعاصر يبحث عن أصول الصدام النفسى. ولم يعد المريض يستلقى على أريكة الطبيب النفسى ، ويتردد على عيـادته مرات فى كل اسبوع . وانما أخـذ العـلاج النفسى يهتم

بمشاكل الحياة العصرية ، كالعمل والنجاح والمال • ويستعين فى سبيل الوصول لنتائجه بكشوف العلوم الاخرى ، كالبيولوجيا والاجتماع •

وأصبح العلاج النفسى يرتضى دراسة سلوك الانسان ، بدلا من درس أحلامه •

ويستخدم الادوية المؤثرة على شخصية الانسان ، بدلا من تحليلها • ويستعين بالعلاج الجماعى ، أو العلاج الدوائى ، فى تحقيق أهداف قريبة ومحددة •

ويحاول أن يقنع المريض بطريقة جدلية بضرورة اتخاذ طريق معين ، أو الاقلاع عن عمل شىء ضار •

ولكن فرويد لايزال للآن الرائد الاول للتحليل النفسى ، والسيكلوجى البارز الذى درس الجنس ، وتحدث عن دوافعه ، مثلما استبرغور الشخصية الانسانية ، وترك عنها فهما واضحا ومتكاملا • بل هناك من يؤكد أنه ، من دون منازع ، أعظم علماء القرن العشرين ••

وقد ظهر أثر فرويد البارز لا فى علم النفس وحده ، وانما فى علوم كثيرة كالفسيولوجيا والفلسفة والانثروبولوجيا والسوسيولوجيا والبيداجوجيا الخ ، وعلى نشاطات متعددة فى الآداب والفنون •

وقد سبق القول الى أن دراسات فرويد الاولى قد أشارت الى آثار الهرمونات الجنسية التى أكتشفت فى الذكر والانثى بعد ذلك •

وفى الفلسفة ظهر تأثير فرويد واضحا على المدرستين الالمانيــة والانجليزية والامريكية . كما مثله الفيلسوف الالمانى ماركوس Marcos الذى أثر بشدة فى اليسار الاوربى . وبعد ذلك الامريكى . والسوسيولوجيين الامريكيين هورنى Horney وفروم Fromm اللذين عالجــا . مع تلاميذهما المختلفين . مشاكل المجتمع والثقافة الغربية . كذلك أثرت المدرسة الانجليزية « المناهضة للطب النفسى Antipsychiatric فى المجتمع الغربى ببحوث ومناقشات كبيرة النفع .

وقد ذكر الشــاعر الانجليزى أودين Auden أن فــرويد « لم يعدبالنسبة لهذا الجيل شخصا ، وانما أصبح مناخا كاملا له » .

وفى القصة بالذات . ظهر تأثــير فرويد واضحا عــلى مدرستى توماس مان Mann وجيمس جويس Joyce بالذات . بل أننــا لانجاوز الحقيقة اذا قلنا أنه ليس هناك أديب أوفنان معاصريستطيع الآن أن يتجاهل السيكلوجية الفرويدية فى انتاجه . واذا التفتنا الى زاوية واحدة . هى علاقة الطفل بوالديه ، فهل يستطيع أديب أو فنان أن يصنع عملا أدبيا أو فنيا من دون أن يحيط بالأسرار الكثيرة التى كشف عنها فرويد فى هذه الناحية ؟ .

لقد قام دومينيك فوناندیه بدراسة لموسيقى موتزار Mozart فوجد أن شخصية « والــد » موتزار تتسلط على موسيقاه . وأن بعض مقطوعاته تفضح الازمة بين هذا الموسيقى العظيم ووالده . وتعلو وتعلو كى تحتج عليه وتثور على استبداده به . وقد حاول موتزار أن يتزوج من حبيبة له ، ولكن والده منعه عن ذلك ، فاختار الموت على الحيــــاة .

واذا نظرنا الى تأثير فــرويد على الفنون السريالية . وجــدنا أن السرياليين يعتبرون فــرويد هو « الاب الروحي » لمدارســهم . فهم لم يلتفتوا الى ما سبقهم من مذاهب . بــل مزجوا عــلى ضوء تعاليمه وبطرق غــاية فى الابتكار والتجديد . بين الحقيقة والحلم . والجد والهزل ، والصراحة والغموض . وقد لجــأوا الى الرموز . والاساطير . واستعانوا بالجنس . وترجموا الغرائز . خصوصــا غريزة الموت ، كي يخرجوا لنا بأشكال جديدة من هذا الفن .

كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى

ذكرنا أن كشوف فرويد وكتاباته لم تلاق الا التجاهل و التصغير والسخرية فى احيان ، فى داخل النمسا وخارجها طوال سنوات كثيرة وأن آرائه ، خصوصا فى الجنس ، وعن مركب أوديب ، قد نفرت منه كثيرا من الاصدقاء والتلاميذ . حتى ان بروير قد قطع علاقته به بعد نشرهما لكتابهما « دراسات عن الهستيريا » . وعندما نشر فرويد كتابه « تفسير الاحلام » فى ١٩٠٠ اثار عليه ضجة كبيرة بين علماء وأطباء فيينا . رغم أن الكتاب لم يوزع فى طبعته الالمانية الاولى سوى ستمائة نسخة .

ومع ذلك ، فان هذه النسخ القليلة كانت بداية معرفة العالم الخارجى بفرويد وكتاباته . فقد سمع استاذ جامعة زيوريخ بسويسرا الالمانية « بلولير Bleuler » بهذا الكتاب ، وقرأ لفرويد بعض كتاباته الاخرى ، فاشتد اعجابه به وأخذ فى مراسلته . ثم قرر فى ١٩٠٧ أن ينتقل اليه زائرا مع تلاميذ جامعته ، فى زيارة شهيرة الى عيادته فى فيينا كانت أشبه بالحج . وقد قدم بلولير فرويد الى استا:

سويسرى آخر . هو يونج • وكانت معرفته ببلولير ويونج هي بداية أكتشاف العالم الخارجي لذلك العبقرى الفيينى •

وفى ١٩٠٨ . اجتمع فرويد مع بعض من تلاميذه فى شكل مؤتمر علمى فى سالزبورج • وألف فى العام التالى • ١٩٠٩ ، فى فيينا « جمعية التحليل النفسى » • وفى نفس العام . سافر فرويد الى الولايات المتحدة لالقاء بعض المحاضرات وللتعرف على اساتذة علم النفس بها • وقد أهدته جامعة كلارك الدكتوراة الفخرية •

وفى ١٩١٠ . تحولت جمعية فيينا الى « الاتحاد الدولى للتحليل النفسى » الذى شمل أعضائه أكثر انحاء العالم المتمدن • وبين عامى ١٩١٢ و ١٩١٣ شارك فرويد فى أعمال مؤتمرات فيمار وبودابست وميونيخ • وفى ١٩٢١ و ١٩٢٢ شارك فى أعمال مؤتمر لاهاى وبرلين •

وقد أدت الخلافات بين فرويد وبعض اصدقاءه وتلاميذه ، كبروبير (١٨٩٦) وفلييس (١٩٠٢) وأدلر (١٩١١) ويونج (١٩١٤) الى محاولة فرويد القبض على أزمة حركة التحليل النفسى والاتحاد الدولى • فأشترط أن يكون الاتحاد مسئولا عن تخريج علماء النفس ، والاعتراف بهم ، وعقد اجتماعاتهم ، ونشر مطبوعاتهم وأن يكون تدريب العلماء الجدد على أيدى الاعضاء المؤسسين للاتحاد • واختيرت لجنة من بين هؤلاء الاعضاء لامتحان علماء النفس قبل التصريح لهم بمزاولة التحليل النفسى ! •

ويلاحظ أن فرويد قد أخذ يطبق نظرياته منذ عام ١٩٠٧ على الاعمال الثقافية والدينية • فنشر فى ذلك العام تحليله لكتاب

STUDIEN

[illegible]

HYSTERIE

[illegible]

Dr. JOS. BREUER [illegible] Dr. SIGM. FREUD

IN WIEN

LEIPZIG UND WIEN

FRANZ DEUTICKE

[illegible]

صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب بروير

وفــرويد « دراســات عن الهســـتيريا »

المنشور في عــام ١٨٩٥

يانسن عن لاجراديفا • وأنه قد أخذ يكتب عن الاساطير (الميثولوجيا) والدين منـــذ ١٩١٨ • وأنه قد نشـــر آرائه المتشائمة فى التمـــدن الانسانى وفى مستقبل الانسان منذ ١٩٢٩ •

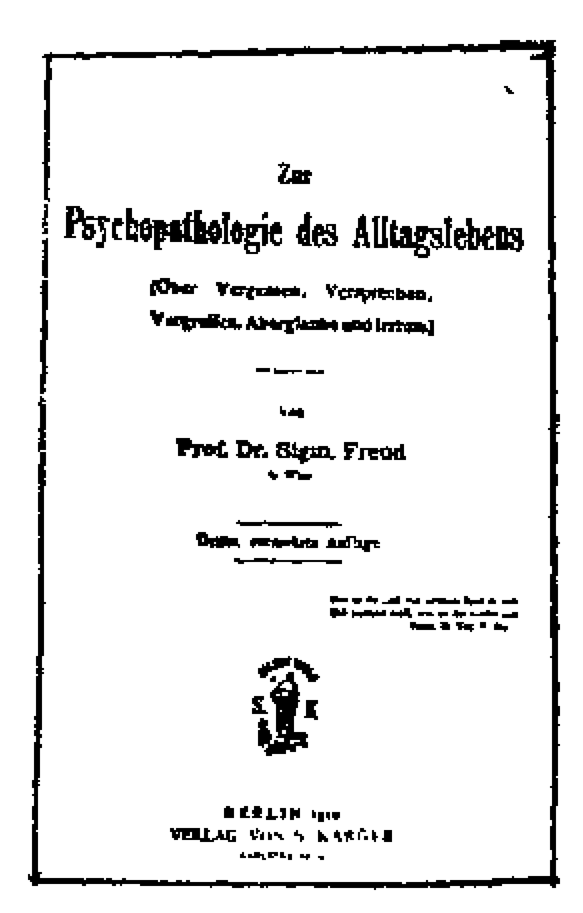
* * *

نــشر فـــرويد فى ١٨٩٥ ، بالاشتراك مــع بروبـــير : كتابهما « دراسات عن الهستيريا Studien uber Hysterie » وهو يضم ، بالاضافة الى المقدمة التى كتبها المؤلفان ، دراســـات منفصلة لكل منهما عن حالات الهستيريا التى صادفتهما • وقد سبق التحـــدث عن بعض هذه الحالات ، ومنها حالة « أنا أوه » لبروبير وحـــالة « اليزابيث فون أر » لفرويد • وكـــذا عن اختلاف وجهـــة نظر المؤلفين ، وهو الذى أدى الى أن يصف كل منهما حالاته مستقلا عن الآخر •

ويعتبر كتاب فرويد « تفسير الاحلام Die Traumdeutung » وهو الذى انتهى منه فى ١٨٩٨ ، ونشـــره للمرة الاولى فى ١٩٠٠ ، واحد من أعظم كتبه ، ومن أفضل الكتب السيكلوجية على الاطلاق • وقد أعيد طبع هـــذا الكتاب مرات كثيرة فى حياة فـــرويد • وكان فرويد يعيد تنقيح الكتاب ، ويضيف اليه ، فى كل مـــرة ، حتى تركه عند وفاته فى ضعف حجمه الاول •

ويتناول الكتاب نظريات فرويد فى تفسير الاحـــلام ، ومعانى رموزها ، ومغزاها فى التحليل الفرويدى • كما يضم بعد أحلام فرويد ، التى تفضح شيئا من خبايا حياته وأسراره •

وفى ١٩٠١ نشر فرويد كتابه « سيكلوباثولوجية الحياة اليومية Psychopathoaogie des Altagslebens وتحدث فيه ، الى جانب عرضه



Zur

Psychopathologie des Alltagslebens

Prof. Dr. Sigm. Freud

BERLIN

VERLAG VON S. KARGER

صورة غـــلاف الطبعـــة الاولى من كتـــاب

فرويد « سيكوباتولوجية الحياه اليوميـــة »

المنشور فى عام ١٩٠١

لسيرته ، عن بعض نتائج تحليله الذاتى . كما تحـــدث عن مغزى الهفوات . والاخطاء . وحوادث النسيان التى قد يقع فيها الانسان بلا قصد . فأرجع هذه الهفوات الى العواطف المكظومة . وضمن فرويد هذا الكتاب المقالة التى نشرها فى هذا الموضوع منذ ١٨٩٨ « الميكانيزم المحرك للنسيان » .

وقد نظر فرويد فى هـــذا الكتاب للحب نظرة مادية صرفة . فأرجعها الى «غريزة حيوانية» فى الانسان ، تستقر فيه منذ قديم . وقال أن أى تغيير فى طابع الحب « الشهوانى » لايمكن الوصول اليه من دون المساس بالفوائد الحسية الضرورية لوجود الانسان .

وفى ١٩٠٥ استغل فرويد الاسطورة الاغريقية عن حب الرب ايروس للاميرة سيكو فى تقديم كتابه « ثـــلاث مقالات فى نظـــرية الجنس Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie » . وكانت ربة الجمال عند الاغريق . أفروديت . قد سمعت بجمال سيكو Psycho (وتعنى الكلمة الروح فى الاغريقية) وغارت منها . فأمرت أفروديت ابنها ايروس . رب الحب ، بأن يعذبها . ولكن ايروس يقع فى غرام سيكو ، وينقلها الى قصر بازخ ، ويقنعها بأنه زوجهـــا . ولا يزور ايروس سيكو الا فى الظلام . ويطلب منها ألا ترى وجهـــه . لكن أخوات سيكو ينجحن فى تحريضها على رؤية وجه حبيبها . فتقوم سيكو من مرقدها فى الظلام وتوقد قنديلا صغيرا ، وترى على ضوئه وجه ايروس . وتتعرف عليه . ولكن نقطة زيت ساخنة من القنديل تقع على كتف ايروس العـــارى فى نومه ، فيستيقظ . ويعـــرف . ويغضب . وفى نفس اللحظة يختفى القصر الذى عاشت فيه سيكو .

ثم تأخذ افروديت بنفسها فى تعــذيب سيكو . وتدبير المكائد لهــا • ولكن ايروس لايزال يحبها • فيســاعدها مرات • ثم يذهب الى الرب تريوس ويطلب اليه مساعدته فى التوفيق بينه وبين حبيبته • فيجعل تريوس من سيكو ربة خالدة . وتلحق بحبيبها ايروس فوق جبــل الآلهــة : أولمب •

ويضم كتاب فرويد « ثلاث مقــالات فى نظرية الجنس » أهم آرائه عن « غريزة الجنس » و « العوامل الجنسية » • ويتنــاول تطور « المراحــل الجنسية » فى الطفولة • وأثره الجنسى عــلى البالغين . وفى تكوين الانسان السوى والشــاذ • ودور الجنس . ومغزاه فى الاحلام • كما يتحدث فرويد عن مركب أوديب . ومعناه وآثاره • وقد تناولنا هذا الموضوع فى بعض الفصول السابقة •

وقد ختم فرويد هذه المرحلة الاولى من حيــاته وكتاباته . حتى الحرب العالمية الاولى . بنشــره فى ١٩١٠ لكتاب « حول التحليــل النفسى Uber Psychoanalyse » • ثم بتجهيزه خلال تلك الحرب . أو بين الاعوام ١٩١٥ و ١٩١٧ . لمحاضراته التمهيــدية التى جمــع فيها ونقح أكثر افكاره وتعاليمه حتى نهاية هذه المرحلة •

المرحلة المتأخرة لكتابات فرويد

بدأ فــرويد فى القاء نظراته النفــاذة عــلى الفنون والآداب والاساطير منــذ ١٩٠٧ . ولكنه تحول تحولا كبيرا لدراستها منــذ الحــرب العالميــة الاولى • فنشــر فى ١٩١٣ / ١٩١٤ « الطوطم والتابو Totem und Taboo » ويترجم التابو أحيانا بالمحــرم • و « الطوطم » كلمة من كلمات الهنود الحمر الامريكيين . ولكنهــا انتشرت فى أواخر القــرن الماضى بين علماء مختلفــين • والطوطم شىء طبيعى . ومادى . وقد يكون حيوانا . يرمز لشخص أو لقبيلة بدائيين • وقد وجد فرويد أن القبائل البدائية تستخدم «الطوطم» الذى يتمثل فى زواج الاقارب . لمنع الفحش • لان الاقارب كالابن وأمه . أو الاخوة والاخــوات . يحملون طوطما واحــدا • ولذلك لايجوز زواج أحدهم من الآخر • ونلاحظ هنا أن فكرة الطوطم قد طورت لدفع أذى بيولوجى . يحدثه فعــلا زواج الاقارب • ولكن الطوطم قد يعنى أيضا منع قتل الحيوانات أو الطائر الذى يحمــل طوطم الشخص أو القبيلة ، لما يحمله معنى القتل للطوطم من أذى للشخص أو القبيلة التى يرمز لهــا •

و « التابو » يعنى امتناع هؤلاء البدائيين (ويظن أنه قد نشأ بين

سكان جزر جنوب المحيط الهادى) عن ارتياد أماكن . أو التحدث بأسماء أشخاص أو حيوانات الخ . لاسباب عقائدية • ولكن التابو يمتد أيضا الى كل مايتصل بتابو . فيصبح هو الآخر محرما • وفى ظن فرويد أن التابو قد نشأ عند الانسان البدائى هو الآخر لضرورة تجنب الفحش • وفى تابو الموت عند القبائل البدائية . وجد فرويد أن المغزى هو تجنب أخطار الموت وضرورة استمرار الحياة • وعند تلك القبائل أن الموت لايجىء الا عن عدوان « انسان آخر » • وأن المرض هو « انتقام روح خفية » • ولكن روح الميت وحدها هى التى تشعر بذلك العالم الخفى • لان الموت يعنى خروج الروح من الجسد وتحليقها فى عالم آخر •

وقد وجد فرويد أن قتل « الاب » كان منتشرا بين القبائل البدائية • وأن السبب فى القتل كان تخليد وعبادة الاب المقتول • وقد أدى هذا الى « الشعور بالذنب » لهذه الخطيئة الكبرى • ثم الى الاتجاه الى استخدام طوطم على شكل حيوان ، والاستغناء عن قتل الاب • ويلاحظ هنا أيضا أن فكرة قتل الاب ، أو زعيم القبيلة . قد جاءت لضمان تجديد شبابها وخروج أجيال قوية تالية عندما يطعن الاب أو الزعيم فى السن •

ويسمى فرويد هذه المرحلة ، مرحلة تكالب الابناء على الاب ، وتغلبهم عليه ، بالمرحلة « الطوطمية » • ويقول أن هذه المرحلة كانت بداية نشأة القيود ، التى فرضتها الجماعة على افرادها لايجاد النظام الذى أدى بعد ذلك الى القانون •

ووجد فرويد أن المجتمعات البدائية قد ظلت جامدة لم تتطور

« لان الجماهير لاتقبل عادة التغيير ، وتستسهل السير على الماضى » وأن هذه المجتمعات البدائية تستبد بها على الدوام . سواء فى تفكيرها أو فى قوانينها . فكرة الفحش .

كذلك وجد فرويد فى النار « مغزى جنسى » عند البدائيين . وقال : ان الرغبة تستبد بالرجل البدائى لمحاولة اطفائها بالتبول عليها . لان فى التبول « اطفاء جنسى لغريزته » وتمثيل لقوته الجنسية أمام أفراد قبيلته . ولهذا نجد أن « المرأة الكاهنة » هى التى اختيرت دائما ، ومن دون الرجل . لحراسة النار المقدسة .

وفى ١٩١٦ ، نشر فرويد كتابه « ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته » . وفى هذا الكتاب ، الذى كتبه فرويد منذ ١٩١٠ وطبق فيه نظريات التحليل النفسى على مادرسه عن حياة وأعمال ليوناردو ، أرجع فرويد الابتسامات الشهيرة على تماثيل الفنان كـ « الموناليزا » و « سانت آن » وعجزه عن اتمام أعماله ، وتحطيمه لتمثال « فينوس ديه ميلو » بعد اتمامه له ، الى « صدمة جنسية » الحقت به وهو صغير .

وكان فرويد قد أبدى اعجابه وشغفه بليوناردو . وكتب لفلييس منذ ١٨٩٨ : « وربما لم يتمتع ليوناردو ، أشهر أعسر فى تاريخ البشرية . طوال حياته ، بعلاقة غرامية » .

والمعروف أن ليوناردو كان ابنا غير شرعى لام فلاحة ، هى كاترين ، وأب شاب كان يطلب العلم فى فلورنسا . فلما ترك الاب المدينة . احتضنت الام ابنها بشدة فى غيبة أبيه . حتى أصبح الاب

محاميا . وتزوج من سيدة أخرى هى دونا البيرا • ولكن الزوجة الجديدة لم تنجب أطفالا . مما دعا الاب الى نزع الابن وهو فى حوالى الرابعة من عمره من والدته وتسليمه لزوجته •

ومع أن الام الجديدة كانت كريمة مع ليوناردو ، فان حب ليوناردو لامه كان قد اتخذ طابعا « نسبقيا » أدى الى تقمصه لشخصية أمه . واختياره للموضوعات المرادفة لها • وكذلك لكبت شديد للجنس ثم انحراف به . احتقار له • ثم تسام بغريزته الى الاستطلاع وحب المعرفة • وأما الحرمان الابوى . فقد أدى الى اهماله لصورة (ابنائه ؟) ونبذ السلطة « الابوية » واتخاذ موقف المعارضة الدائمة •

ويقول فرويد أن آثار هذه الحياه قد ظهرت واضحة فى حب ليوناردو للحياة الرغدة . والجميلة . وابتعاده عن النساء . واعجابه بجمال الاطفال • ثم التردد والتأخير فى اتخاذ القرارات • وتناقض النظرة فى صورة وظهور امرأتين معا مع طفل واحد فى صورة « العذراء وحنة » •

يقول فرويد عن كاترين والدة ليوناردو :

« لقد فقدت الام زوجا ، فعوضت هذا بالطفل الذى أنجبته منه • وحنت عليه بأكثر مما تحنو الام عادة على ابنها • حتى حرمته من قوته الجنسية فى سن متقدمة » •

الى أن يقول :

« وهكذا فقد الابن خيالاته الطبيعية وركزها فى والدته • وظهرت آثار هذا على وجوه تماثيله ذات الجنس المزدوج » •

وفى ١٩٢٠ نشر فرويد كتابه « ما وراء مبدأ اللذة

« Tenseits des Lust Princips » الذى أكد فيه أن البحث عن السعادة وتجنب الالم هى التى تحكم وتوجه تصرفات الانسان • والى أن الفرد يحتاج دوما الى أن يشبع الدوافع الليبيدية لغـرائزه . والى أن يخفض توتراته وقلقه ، بالاستجابة لها أو التسامى بها • ولكن الانسان لايستطيع ، مـع ذلك ، أن « يحتمل اللذة المتصـلة » أو « السعادة المفرطة » • Massenpsychologie und Ich - Analyse

وقد نشر فرويد بعد ذلك بعامين ، أى فى ١٩٢٢ ، كتابه الصغير والهـام « سيكلوجيـة الجماهـير وتحليـل الايجـو (الانـا) Massenpsychologie und Ich - Analyse » الذى حاول فيه أن يدرس الروابط التى تربط بين افـراد الجمـاعة وبين رئيسـها • وانتهى فرويد الى أن « الدوافـع الليبيدية » هى أسـاس تلك الروابط • وأنهـا تربط بـين أفراد الجماعة ، وبينهم وبـين رئيسهم • وأن أفراد الجماعة يشتركون فى « وهم » يتلخص فى أن رئيسهم « يحب أفراد جماعته حبا متساويا » • وأن هذا الحب هو الذى تقوم عليه روحهم المعنوية • وأنه اذا ظهر لهم أن رئيسهم يفضل بعضهم على البعض الآخر ، أنهارت تلك الروح •

وفى ١٩٢٣ ، نشر فرويد كتابه عن الشخصية الانسانية « الايجو والايد Ego und Id » • فجعل منها ثلاث طبقـات • هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والسوبر ايجو (الانا الاعلى) • وطبقـة الايد (الهو) هى ، على ماذكرنا ، الطبقة الغريزية الاولى ، والتى تحتاج منا الى تلبية فورية • وطبقة الايجو (الانا) هى الطبقـة الثانية ، التى تزن رغبات الطبقة الاولى مسترشدة بشرائع المجتمع

وتسمح بما يمكن تحقيقه منها . واما الطبقة الثالثـة فهى السوبر ايجو (الانا الاعلى) . التى تنبع من داخل الانسان ، وتزن رغائبه بميزان الاخلاق والضمير الخ . وقد وجد فرويد أن الصراع بـين الطبقات الثلاث قد يحتدم . وقد يؤدى الى القلق ؛ ولكننا لانشعر به فى صحونا . وانما تفضحه أحلامنا .

وفى ١٩٣٠ نشر فرويد كتابه « أمراض التمدن Zivilisation und seine Unzufriedenheit » الـذى يحث فيـه أمور الحب والسـعادة الانسانيين ، وقيود المدنية . وأمراضها . وقد كشف فرويد فى هذا الكتاب عن نفس متشائمة غاية التشائم ، حاول النقاد ارجاعها الى حالته الصحية المتدهورة أو الى الحـالة السياسية غـير المستقرة وقتذاك فى أوروبا .

وقد فرق فرويد فى كتابه بـين الحضارة والثقـافة . وقال أن الاولى نتيجة للثانية . وعدد سمات الدولة المتحضرة : فقالأن كل شىء فيها « يستغل ويستثمر لصالح الانسان . ويساعد على حمايته من الطبيعة » . وأن الانسان فيها يحاط برعاية كاملة . ومهاراته توجه لهذا السبب الى مايبدو أنه أشياء غير نافعة ، كزراعة الحدائق والمتنزهات ، وبناء الملاعب الخ .

وقال ان الدولة المتحضرة هى تلك التى تولى الانشـطة الفكرية اهتماماتها . « ولكن أهم مايميز الدولة المتحضرة هو قيامهـا على شىء من الزهد والارتفاع عن اشباع الغرائز » .

وقال فرويد أن الـدولة المتحضرة تتميز أيضـا بالنظام « لان للنظام فوائد . وهو يمكننا من استخدام المكان والزمان على الوجه



أحب فـــرويد موسى واعتبره

مصـــريا لا عبريا

الاكمل ، ويغنينا عن بذل الطاقة الذهنية من دون طائل » .

يقول فـــرويد :

« حقيقى أن التمدن يتقبل الحب ، بل ويرفعه أرفـع مكانة . ولكن مكان الحب فى حياتنــا المعاصرة يصغــر شيئا فشيئا . (وهذا لان) أغراض الحب تتعارض ، فى الحقيقة ، مع أغراض التمدن . كما أن هذا يحاول عـلى الدوام فرض قيوده عـلى مابقى لنا من حب في حياتنا » .

ويقول فـــرويد :

« ان الانسان يبحثبغريزته عن السعادة .ولكن طبيعة تكوينه لاتسمح له بأن يرى منهــا ، وبصعوبة ، وعن طريق مخــالف لطبائع الحياة ، الا قليلا . وعلى النقيض من ذلك ، نرى الالام تلاحق الانسان في سهولة » .

الى أن يقول مفسرا مصدر هذه الالام:

« ان هناك ثلاث مصادر لهذه الالام . الاول هو جسم الانسان والثانى هو العالم الخارجى . والثالث هو علاقته بالاخــرين ولهذا فانجهود الانسانفىالتخلصمن هذه الالامتزيدعن جهوده فى محاولة جلب السعادة لنفسه . وحتى اذا كانت طبيعتــه الخاصة تسعى وراء سعادته ، فهو فى حياته المدنيــة لا يكاد يحظى الا بتجنب الالام » .

وفى ١٩٣٩ نشر فرويد كتابه « موسى والتوحيد Der Mann Monotheistishé Relegion . وفى هذا الكتاب اعتبر فرويد موسى مصريا وليس عبريا . وأكد صراحة أن الايمان بالتوحيــد كان كشفا مصريا خالصا . وقد اعتمد فرويد فى ما كتبه هنــا على دراسات برستد Breasted التى توضح أن اخنــاتون كان أول من نادى بالتوحيد .

وقد ذكر بريل ؛ وهو من أوائل تلاميذ فرويد ، أن فـــرويد كان « يتخيل نفسه » عن معرفة ؛ أو عن غـــير معرفة ، نبى اســرائيل « الذى قاد شعبه بالصراحة الى الخلاص » • وقال أن تمثال مايكل أنجلو لموسى كان يملأ فرويد بالاعجاب والفخر «وخصوصا أصابع» التمثال التى تسند جانب الوجه » والتى تجعل من طريقـــة جلوس فرويد أقرب ما تكون الى طريقة جلوس موسى •

أهم مؤلفات فرويد

١٨٩٥ (بالاشتراك مع بروبير) دراسات عن الهستيريا
Studien uber Hysterie

١٩٠٠ تفسير الاحلام Die Traumdeutung

١٩٠١ سيكوباثولوجية الحياة اليومية
Zur Psychopathologie des Altagslebens

١٩٠٥ ثلاث مقالات فى نظرية الجنس
Drei Abhandlungen Zur Zexualtheorie

١٩١٠ حول التحليل النفسى Uber Psychoanalyse

١٩١٣/١٤ الطوطم والتابو Totem und Taboo

١٩١٤ مقدمة في حب الذات
Zur Einfuhrung des Narzissmus

١٩١٦ ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته

١٩٢٠ ماوراء مبدأ اللذة Tenseits des Lustprinzips

١٩٢١/٢٢ سيكلوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا)
Massenpsychologie und Ich - Analyse

١٩٢٣ الايجو (الانا) والايد (الهو) Ego und Id

١٩٢٦ مسألة التحليل النفسى Die Frage der Laienanalyse

١٩٢٧ مستقبل وهم Zukunft der ein Illusion

١٩٣٠ أمراض التمدن
Zivilisation und Seine Unzufriedenheit

١٩٣٤/٣٨ موسى والتوحيد
Der Mann Moses und die Monotheistische Religion

أهم المراجـــع

(بالاضافه الى اعمال فرويد فى اللغات الانجليزيه والالمانية والفرنسية)

أحمد عكاشـــه : علم النفس الفسيولوجى والطب النفسى المعاصر

سلامه موسى : عقلى وعقلك

سيجموند فرويد : (ترجمه د . أحمد عكاشه مع مقدمه) :

ليوناردو دافنشى

(تلخيص د. عبـد المنعم الحفنى) : الحـــرب والحضاره والحب والموت .

Allenberger The Discovery of the Unconscious

Jones Life of Freud

Klein The Psychoanalysis of Children

Klein & Riviere Love, Hate and Reparation

Ludwig Doctor Freud

Mannoni Freud

Rycroft Psychonalysis Observed

A Criticel Dictionary of Psychoanalysis

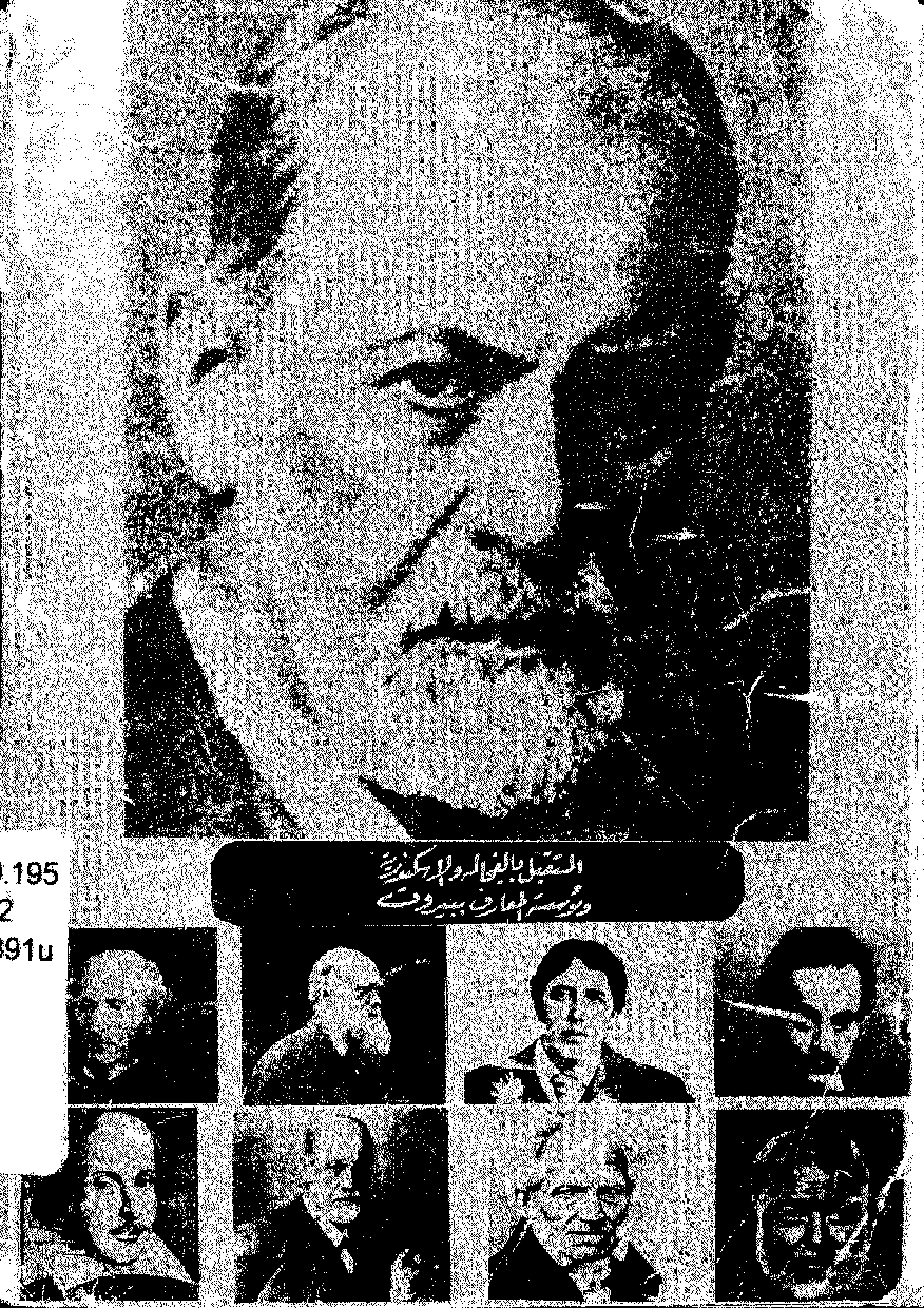
ıchs Freud, Master and Friend

The Life of Freud

Freud

الفهـــرست

نعتذر لاختلاط موضعى الصورتين بصفحتى ١٣ و ١٩



المستقبل بالقاهرة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت